



مركز الدراسات
والمراجعة العلمية
Center for Studies & Scientific Review



مجلة فصلية تُعنى
بالمعرفة الدينية والثقافية

تصدر عن
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الدراسات والمراجعة العلمية

العدد الرابع والعشرون
شهر ذي الحجة ١٤٤٥هـ - تموز ٢٠٢٤م



مركز الدراسات
والمراجعة العلمية
Center for Studies & Scientific Review

أهراف معرفة

المشرف العام

سميحة السيد أحمد الصافي

الإشراف العلمي

السيد ليث الموسوي

رئيس التحرير

السيد عقيل الياسري

مدير التحرير

الشيخ حسن علي الجوادي

سكرتير التحرير

الشيخ حسين مناحي

التدقيق اللغوي

مصطفى كامل محمود

أحمد كاظم الحسناوي

التصميم والإخراج الفني

علاء سعيد الأسدي

المحتويات

أوراق قرآنية

- ١٠ ١- قول الإمامية بعدم النقيصة في القرآن / العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي
- ١٦ ٢- صراحة القرآن الكريم في الاختيار / العلامة محمد حسن آل ياسين
- ١٨ ٣- البيان التفصيلي للسور / السيد محمد باقر السيستاني
- ٢٣ ٤- الصيغ الثلاثة للدعاء في القرآن / الشيخ محمد مهدي الآصفي
- ٢٨ ٥- لماذا التمثيل بالبعوضة / الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

أوراق فكرية

- ٣٠ ١- الحسن والقبح / شيخ الطائفة الطوسي
- ٣٩ ٢- تشابه الفكر الالتقاطي مع البدعة / الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي
- ٤٣ ٣- الفلسفة وعلم الكلام / الشيخ العلامة محمد رضا المظفر

أوراق علمية

- ٤٨ ١- أحكام الكافر المقاتل / زعيم الطائفة السيد أبو القاسم الخوئي
- ٥٠ ٢- حديث هدم الحائط / تقرير محاضرات آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظلّه
- ٥٤ ٣- أهمية الصلاة / المرجع الديني السيد موسى شبيري الزنجاني
- ٥٥ ٤- وجوب الاستطاعة في الحجّ / السيد محمد رضا السيستاني
- ٦٤ ٥- البلوغ حقيقته وأحكامه في الذكر الحكيم / الشيخ جعفر السبحاني

أوراق تاريخية

- ٧٢ ١- طلب الدواة والكتف / السيد محسن الأمين
- ٨١ ٢- عبد الله بن عباس مع معاوية في أيام حكمه / السيد محمد تقي الحكيم
- ٨٤ ٣- أم الحجة عليها السلام / المحقق التستري
- ٨٧ ٤- خطبة الغدير / السيد علي الحسيني الميلاني

٨٨ ٥- كلمة في خروج المواكب بحالاتهم المألوفة... / العلامة محمد علي الوردبادي

أوراق اجتماعية

- ٩٦ ١- الأخلاق وتهذيب النفس / السيد محمد هادي الخرسان
- ٩٩ ٢- حماية الوطن من الغزو الخارجي / الشيخ باقر شريف القرشي
- ١٠٠ ٣- فضل المجتمع الإسلامي / السيد مهدي الصدر
- ١٠٢ ٤- لغة الحب وتأثيرها في شخصية الإنسان / السيد منير الخباز

أوراق ثقافية

- ١٠٨ ١- عاقبة الأطفال يوم القيامة / العلامة محمد جواد مغنية
- ١١٠ ٢- طاقة الإنسان المحدودة / الشيخ محمد تقي فلسفي
- ١١٢ ٣- أهمية الكيمياء / السيد إبراهيم سرور
- ١١٥ ٤- الألغاز والتعمية / ابن أبي الإصبع
- ١١٧ ٥- الاستجارة بصاحب العصر والزمان (ع) / السيد علي آل السيد سلمان النجفي
- ١٢٠ ٦- بعض الحقوق / الإمام علي بن الحسين زين العابدين (ع)

الورقة الأولى

معين العلم

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على معلم البشرية وسراجها المنير محمّد وآله الطاهرين.

من معين العلم، وبصائر الفكر، ونور القرآن، تنهل هذه المجلة المباركة صفحاتها، لتكون منبراً علمياً وفكرياً وثقافياً، تنقل لقراءها أطايب ما جادت به أنامل العلماء الأجلاء، من خيرة أهل الفضل والمعرفة، ممّن أفنوا أعمارهم في خدمة الدين والقرآن، ودوّنوا تراثاً خالداً في مصنّفات وموسوعات ستبقى ما بقي الدهر.

وإنّ المعارف الإلهية المستقاة من العلماء الربانيين هي سبل النجاة التي من سلكها وصل إلى حقيقة العبودية والطاعة، سلوك هادٍ عاملٍ متأمّلٍ، وإن من نعم الله على الأمة إذ جعل منها مَن يدوّن هذه المعارف مثل التوحيد والنبوة والإمامة ونظائرها، ويجتهد في تحصيلها شرقاً وغرباً من دون كلل ولا ملل حتى أصبحت مكتباتنا بفضل جهود العلماء الاتقياء مليئة بمختلف العلوم القرآنية منها والفكرية ولا سيما الفقهية والأصولية التي لها أكثر من وجهة نظر فتكون محل بحث وتعليق ومناقشة جيلاً بعد جيل متناولين فيها الآراء الصائبة بالدليل والبرهان، والضعيفة بالتخطئة والاهمال، سائرين على نهج وخطى أئمتهم المعصومين الغر الميامين. لا يحيدون عنهم قيد أنملة.. فمنهم من أطنب فأجاد، ومنهم من أوجز فأفاد، فله درهم وعليه أجرهم.

ولو أخذنا منهم شخصية واحدة على سبيل المثال العلامة الحليّ ففي

مقدمة كتابه تهذيب الوصول إلى علم الأصول: اسم، بل رتبة علمية يتطلّع إليها الأكابر ويرنو إليها طرف كل سائر. فقد سما في الشموخ حتى أتعب من بعده، وتألّق في سماء المعارف الإلهية حتى وصل إلى منزلة إطراء السيد بحر العلوم بقوله: «علامة العالم، وفخر نوع بني آدم، أعظم العلماء شأنًا، وأعلامهم برهانًا، سحاب الفضل الهاطل، وبحر العلم الذي ليس له ساحل، جمع من العلوم ما تفرّق في جميع الناس، وأحاط من الفنون بما لا يحيط به القياس، مروّج المذهب والشرعة في المائة السابعة، ورئيس علماء الشيعة من غير مدافعة. صنّف في كل علم كتبًا، وآتاه الله من كل شيء سببًا. أمّا الفقه فهو أبو عذرتة وخوّاوض بحره ... وأمّا الأصول والرجال فإليه فيهما تشدّ الرحال وبه تبلغ الآمال وهو ابن بجدها ومالك أزمتها ... وأمّا المنطق والكلام فهو الشيخ الرئيس فيها والإمام».

ولولا هذه الجهود الكبيرة لعلمائنا قدس الله أسرار الماضين وحفظ لنا الباقيين؛ لما قدرنا على فهم أبسط المسائل فكيف أصعبها، وحرّيّ بنا أن نفخر بهذه الجهود وأن نعيد نشرها جزءاً من رد جميل صنيعهم.

وفي هذا العدد الرابع والعشرين، نطالع معاً اقتباسات نفيسة، وموضوعات قرآنية وفكرية وتاريخية واجتماعية وثقافية، نستعرضها بأسلوب علمي رصين، جامع بين الأصالة والمعاصرة، لنقرّب الفكر المستنير إلى القارئ الكريم، ونحيي صلة الأجيال بالكنوز المعرفية لعلمائنا الأعلام.

ونسأل الله تعالى أن يبارك بهذا الجهد المتواضع، ويجعله من مصاديق (العلم النافع) و(الكلمة الطيبة)، وأن يوفّقنا لما فيه رضاه وخدمة أوليائه.

اول افلاية



قول الإمامية بعدم النقيصة في القرآن

العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي

وعن السيد المرتضى رحمته الله قوله بعدم النقيصة وان من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من اصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها. وفي أول تبيان الشيخ الطوسي رحمته الله: أما الكلام في زيادته ونقصه فمما لا يليق به أيضاً لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها. والنقصان فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى وهو الظاهر في الروايات غير أنه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من آي القرآن ونقل شيء منه من موضع إلى موضع طريقها الآحاد التي لا توجب علماً ولا

لا يخفى أن شيخ المحدثين والمعروف بالاعتناء بما يروى وهو الصدوق (طاب ثراه) قال في كتاب الاعتقاد: اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه عليه السلام هو ما بين الدفتين وليس بأكثر من ذلك، ومن نسب إلينا أننا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب. انتهى.

وحمل الروايات الواردة في النقصان على وجوه أخرى. وفي أواخر فصل الخطاب من كتاب المقالات للشيخ المفيد رحمته الله أنه قال جماعة من أهل الإمامة إنه (أي القرآن) لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة، ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله.

عملاً والأولى الاعراض عنها انتهى. وتبعه على ذلك في مجمع البيان وفي كشف الغطاء في كتاب القرآن المبحث الثامن في نقصه لا ريب انه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديان كما دل عليه صريح القرآن واجماع العلماء في كل زمان ولا عبرة بالنادر وما ورد من اخبار النقص تمنع البديهة من العمل بظاهرها (إلى أن قال) فلا بد من تأويلها بأحد وجوه.

وعن السيد القاضي نور الله في كتابه (مصائب النواصب) ما نسب إلى الشيعة الإمامية من وقوع التغير في القرآن ليس مما قال به جمهور الإمامية إنما قال به شذمة قليلة منهم لا اعتداد بهم فيما بينهم.

وعن الشيخ البهائي وأيضاً اختلفوا في وقوع الزيادة والنقصان فيه والصحيح أن القرآن العظيم محفوظ عن ذلك زيادة كان أو نقصاناً ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١)، وما اشتهر بين الناس من إسقاط اسم أمير المؤمنين عليه السلام منه في بعض المواضع مثل قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك في عليّ) وغير ذلك فهو غير معتبر عند العلماء. وعن المقدس البغدادي في شرح الوافية وانما الكلام في النقيصة والمعروف

(١) سورة الحجر: الآية ٩.

بين أصحابنا حتى حكي عليه الإجماع عدم النقيصة أيضاً. وعنه أيضاً عن الشيخ علي بن عبد العالي انه صنف في نفي النقيصة رسالة مستقلة وذكر كلام الصدوق المتقدم ثم اعترض بما يدل على النقيصة من الأحاديث وأجاب بأن الحديث إذا جاء على خلاف الدليل من الكتاب والسنة المتواترة أو الإجماع ولم يمكن تأويله ولا حمله على بعض الوجوه وجب طرحه.. هذا وان المحدث المعاصر جهد في كتاب فصل الخطاب في جمع الروايات التي استدلت بها على النقيصة وكثر أعداد مسانيدنا بأعداد المراسيل عن الأئمة عليهم السلام في الكتب كمراسيل العياشي وفرات وغيرها مع ان المتتبع المحقق يجزم بأن هذه المراسيل مأخوذة من تلك المسانيد. وفي جملة ما أورده من الروايات ما لا يتيسر احتمال صدقها. ومنها ما هو مختلف باختلاف يؤول به إلى التنافي والتعارض وهذا المختصر لا يسع بيان النحويين الأخيرين. هذا مع ان القسم الوافر من الروايات ترجع أسانيدنا إلى بضعة انفار وقد وصف علماء الرجال كلا منهم اما بأنه ضعيف الحديث فاسد المذهب مجفو الرواية. واما بأنه مضطرب الحديث والمذهب يعرف حديثه وينكر ويروي عن الضعفاء. واما بأنه كذاب متهم لا

أستحل ان اروي من تفسيره حديثا واحدا وانه معروف بالوقف وأشدّ الناس عداوة للرضا عليه السلام. واما بأنه كان غاليا كذابا. وإمّا بأنه ضعيف لا يلتفت اليه ولا يعوّل عليه ومن الكذابين. واما بأنه فاسد الرواية يرمى بالغلو. ومن الواضح ان أمثال هؤلاء لا تجدي كثرهم شيئا. ولو تسامحنا بالاعتناء برواياتهم في مثل هذا المقام الكبير لوجب من دلالة الروايات المتعددة ان ننزلها على ان مضامينها تفسير للآيات أو تأويل او بيان لما يعلم يقينا شمول عموماتها له؛ لأنّه أظهر الافراد وأحقها بحكم العام.

أو ما كان مرادًا بخصوصه وبالنص عليه في ضمن العموم عند التنزيل. أو ما كان هو المورد للنزول. او ما كان هو المراد من اللفظ المبهم. وعلى أحد الوجوه الثلاثة الأخيرة يحمل ما ورد فيها أنّه تنزيل وأنّه نزل به جبريل كما يشهد به نفس الجمع بين الروايات. كما يحمل التحريف فيها على تحريف المعنى ويشهد لذلك مكاتبة أبي جعفر عليه السلام لسعد الخير كما في روضة الكافي ففيها وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده.

وكما يحمل ما فيها من أنّه كان في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام او ابن مسعود وينزل على انه كان فيه بعنوان

التفسير والتأويل. ومما يشهد لذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام للزنديق كما في نهج البلاغة وغيره: ولقد جتتهم بالكتاب كملا مشتملا على التنزيل والتأويل.

ومما أشرنا إليه من الروايات أنّ المحدث المعاصر أورد في روايات سورة المعارج أربع روايات ذكرت أن كلمة (بولاية علي) مثبتة في مصحف فاطمة وهكذا هي في مصحف فاطمة عليها السلام ولا يخفى أنّ مصحفها عليها السلام انما هو كتاب تحديث بأسرار العلم كما يعرف ذلك من عدة روايات في أصول الكافي في باب الصحيفة والمصحف والجامعة، وفيها قول الصادق عليه السلام: «ما فيه من قرآنكم حرف واحد».

وما أزعّم أن فيه قرآنا كما في الصحيح والحسن.

(ومنها) ما في الكافي في باب أنّ الأئمة عليهم السلام شهداء على الناس في صحيحة بريد عن أبي جعفر عليه السلام وروايته عن أبي عبد الله عليه السلام من قولهما عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ نحن الأمة الوسطى.

وفي شرحه عن أمير المؤمنين عليه السلام ونحن الذين قال الله: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(١).

إذن فما روي مرسلا في تفسيري (١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

النعماني وسعد من ان الآية أئمة وسطاً لا بدّ من حمله على التفسير وان التحريف إنما هو للمعنى.

(ومنها) كما رواه في الكافي في باب ان الأئمة هم الهداة عن الفضيل سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فقال «كل إمام هو هاد للقرن الذي هو فيهم».

ورواية بريد عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(١)، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر ولكل زمان منا هاد يهديهم إلى ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله والهداة من بعده علي عليه السلام ثم الأوصياء واحدا بعد واحد. ونحوها رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام ورواية عبد الرحيم القصير عن أبي جعفر عليه السلام «أن رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر وعلي عليه السلام الهادي». وبمضمونها جاءت روايات الجمهور مسندة عن طريق أبي هريرة وأبي برزة وابن عباس وطريق أمير المؤمنين عليه السلام وصححه الحاكم في مستدركه.

وإذا أحطت خبرا بهذا فهل يروق لك التجاء (فصل الخطاب) في تليفه وتكثيره إلى النقل عن بعض التفاسير المتأخرة وعن الداماد في حاشية القبسات من قوله: إنّ الأحاديث من طرقنا وطرقهم متضافرة

(١) سورة الرعد: الآية ٧.

بأنه كان التنزيل: إنّما أنت منذر لعباد وعليّ لكل قوم هاد. انتهى. هذا الشعر الذي ينشده المداخون ولا يرضى العارف باللغة العربية ان ينسب إليه نظمه ولا أظنك تجد من طرقنا وطرق اهل السنة غير ما سمعته أولاً وهو غير ما نقله فاعتبر.

(ومنها) رواية الكافي عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٢) يعنون بولاية علي عليه السلام».

وهذا صريح في كونه تفسيراً فهي حاكمة ببيانها على ضعيفتي أبي بصير في ظهورهما بأن لفظ «بولاية علي» محذوف من الآية ويسري البيان من رواية أبي حمزة إلى أمثال ذلك.

(ومنها) رواية عمر بن حنظلة عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ﴾^(٣). مخرجات. ولا أظن إلا إنك تقول: إن الحاق الإمام عليه السلام لكلمة مخرجات، إنّما هو تفسير للمراد من كلمة (إخراج) لا بيان للنقيصة من القرآن الكريم ولكن فصل الخطاب أورده بعنوان البيان للنقيصة فاعتبر.

(ومنها) صحيحة محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام كما في الكافي في أول

(٢) سورة الانعام: الآية ٢٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٤٠.

باب منع الزكاة وفيها ثم قال ﷺ «هو قول الله عز وجل: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١)، يعني ما بخلوا به من الزكاة فالرواية كالصريحة بأن لفظ «من الزكاة» إنما هو تفسير من الإمام لا من القرآن فهي حاكمة ببيانها على مرسلته ابن أبي عمير عمن ذكره عن أبي عبد الله ﷺ في قول الله عز وجل: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ﴾. من الزكاة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وصارفة لها عن كونها بياناً للنقيصة». (ومنها) صحيحة أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ كما في الكافي في باب نص الله ورسوله على الأئمة واحداً بعد واحد.

وفيها: قللت له ان الناس يقولون فما له لم يسم علياً ﷺ وأهل بيته في كتاب الله قال: «فقولوا لهم ان رسول الله نزلت عليه الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله ﷺ هو الذي فسر لهم ذلك». وكذا قال ﷺ في الزكاة والحج. ومقتضى الرواية تصديق الإمام ﷺ لقول الناس إن الله لم يسم علياً في القرآن وإن التسمية كانت من تفسير رسول الله ﷺ في حديث «من كنت مولاه» وحديث الثقلين. ويشهد لذلك ما رواه في الكافي أيضاً

في هذا الباب بعد ذلك ييسر في صحيحة

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٠.

الفضلاء عن أبي جعفر ﷺ ورواية أبي الجارود عنه ﷺ أيضاً ورواية أبي الديلم عن أبي عبد الله ﷺ انها تلوا في مقام الاحتجاج وعدم التقية قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(٢)، ولم يذكر في تلاوة الآية كلمة «في علي» وهذا يدل على ان ما روي في ذكر اسم علي ﷺ في هذا المقام بل وفي غيره إنما هو تفسير وبيان للمراد في وحي القرآن بكون التفسير والبيان جاء به جبرائيل من عند الله بعنوان الوحي المطلق لا القرآن: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٣).

(ومنها) رواية الفضيل عن أبي الحسن الماضي ﷺ في باب النكت من التنزيل في الولاية من الكافي قال قلت: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾^(٤)، قال: يعني أمير المؤمنين ﷺ قلت: تنزيل؟ قال ﷺ: «نعم»، فإنه ﷺ ذكر أمير المؤمنين ﷺ بقوله يعني بعنوان التفسير وبيان المراد والمشار اليه في قوله تعالى هذا فقوله في الجواب، «نعم»، دليل على ان ما كان مراداً بعينه في وحي القرآن يسمونه ﷺ تنزيلاً. فتكون هذه

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٣) سورة النجم: الآية ٣-٤.

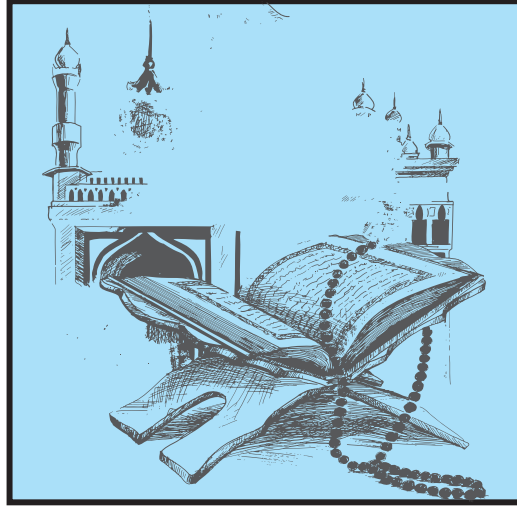
(٤) سورة المطففين: الآية ١٧.

الرواية وأمثالها قاطعة لتثبتات فصل
الخطاب بما حشده من الروايات التي
عرفت حالها إجمالاً، وإلى ما ذكرناه وغيره
يشير ما نقلناه من كلمات العلماء الأعلام
قدست أسرارهم.

فإن قيل: إن هذه الرواية ضعيفة وكذا
جملة من الروايات المتقدمة.

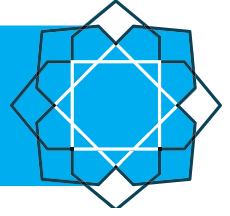
قلنا: إن جل ما حشده (فصل
الخطاب) من الروايات هو مثل هذه الرواية
وأشد منها ضعفاً كما أشرنا إليه في وصف
رواتها على أن ما ذكرناه من الصحاح فيه
كفاية لأولي الألباب.

[آلاء الرحمن في تفسير القرآن: ج ١،
ص ٢٥-٢٩]



صراحة القرآن الكريم في الاختيار

العلامة محمد حسن آل ياسين



لعلّ من أبرز أدلة الاختيار الذي نحن بصدد اثباته:

﴿يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٥).

﴿وَأَمَّا نُمُودُ فَنَهْدِينَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى

عَلَى الْهُدَى﴾^(٦).

﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٧).

﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ﴾^(٨).

إلى كثير من أمثال هذه الآيات الشريفة وكلها نص قاطع على نسبة الفعل إلى العبد بمحض اختياره وعدم وقوعه إلاّ بمشيئته وإرادته.

وقد شدّد بعضهم فقال: إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى:

ذلك التأكيد القرآني على نسبة العمل إلى الإنسان و التصريح باختياره الكامل و اضافة الفعل إليه على وجه مطلق آب عن الحمل والتأويل: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾^(١).

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾^(٢).

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾^(٣).

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمَرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفَرْ﴾^(٤).

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ

(٥) سورة الزلزلة: الآيتان ٧-٨.

(٦) سورة فصلت: الآية ١٧.

(٧) سورة التحريم: الآية ٧.

(٨) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.

(١) سورة الطور: الآية ٢١.

(٢) سورة النساء: الآية ١٢٣.

(٣) سورة الاسراء: الآية ٧.

(٤) سورة الكهف: الآية ٢٩.

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(١) صريح في أن أفعال العباد كلها- وهي مشمولة لعموم «كُلُّ شَيْءٍ»- مخلوقة من قبل الله تعالى وليست من خلق الإنسان نفسه، وهل هذا إلا «الجبر» بعينه؟!

والصواب في الأمر ان هذه الآية غير ناظرة إلى افعال العباد وأعمالهم، لأنها في صدد الرد على اولئك القائلين بتعدد الخالقين: خالق للأرض وخالق للأفلاك وخالق للناس.. الخ، فكان الرد على اولئك ان الله تعالى هو خالق هذه الاشياء كلها وليس من خالق غيره.

أما اختصاص كلمة «خالق» به تعالى فليست دليلا على صحة تعميم خلقه لكل شيء حتى أفعال العباد، فقد ورد الخلق في القرآن منسوباً إلى الإنسان أيضاً، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾^(٤) كما أن قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٥) وقوله تعالى:

﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾^(٦) دليل على أن الإنسان خالق أيضاً وإن كان الله تعالى أحسن الخالقين.

وأما الاستدلال على إيجاد الله لأفعال الناس بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٧) حيث صرحت الآية بأن ما يعملها الناس انما هو من خلق الله تعالى، فمردود أوضح رد؛ لأن هذه الآية الشريفة انما هي تنمة لآية سابقة عليها هي قوله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾^(٨)، وكان جواب هذا الاستفهام: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

ومن الجمع بين الآيتين يظهر أن المقصود بهما الرد على اولئك الذين ينحتون الأصنام من الصخور أو يعملونها من التمر- مثلاً- ثم يتوجهون إليها بالعبادة ويقربون لها القرابين، فأبان الله تعالى بهذه الآية أنه جل وعلا قد خلق اولئك المشركين وخلق تلك المواد التي ينحتون منها أصنامهم.

وليس لذلك أي ارتباط بمسألة أفعال العباد وأعمالهم وتصرفاتهم.

[أصول الدين]

(١) سورة الزمر: الآية ٦٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ١١٠.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

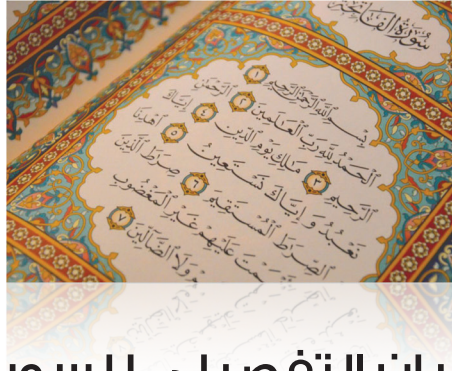
(٤) سورة العنكبوت: الآية ١٧.

(٥) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

(٦) سورة الصفات: الآية ١٢٥.

(٧) سورة الصفات: الآية ٩٦.

(٨) سورة الصفات: الآية ٩٥.



البيان التفصيلي للسورة

تفصيل الكلام في هذه السورة يقع في أبجاء البسملة.

ث تدور حول كل واحدة من آياتها السبع:

٧- حول أن المعنى المقدر في البسملة من حيث المادة وفق المتفاهم من الكلام هو القراءة.

الآية الأولى: هي البسملة.

٨- حول صيغة الفعل المقدر.

وفيها خمسة أبحاث حول المعنى التركيبي،

٩- حول الاستعاذة قبل البسملة.

والكلمات الأربع (الاسم، الله، الرحمن،

١٠- حول ختم القول والعمل باسم الله

الرحيم)، ولم نخصّ الباء ببحث إيجازاً، وأشرنا

سبحانه.

إلى القول فيها في البحث حول المعنى التركيبي.

وتفصيلها:

البحث الأول: في المعنى التركيبي للبسملة.

١- في توضيح مضمون البسملة.

وفيه إيضاحات عدة معنوية ولفظية،

ولنذكرها إجمالاً:

الإيضاح الأول: لا شك أن مضمون

١- في توضيح مضمون البسملة.

البسملة إنما جاء كأدب مناسب لأول الرسالة

الإلهية، وهذا أدب معهود في الرسائل الشخصية

من قبل، كما جاء في القرآن الكريم عن سليمان عليه السلام

أنه كتب إلى ملكة سبأ: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي

مُسْلِمِينَ﴾^(١)، كما أن أدب الابتداء باسم الإله

٣- في مغزى البسملة عند قراءة القرآن

وسائر الأفعال.

٤- إن قرن الأقوال والأفعال بالبسملة

والتسمية أدب خاص يليق بالله سبحانه فقط.

٥- إن للبسملة كسائر المضامين التوحيدية

في القرآن نظرين أدنى وأعلى.

٦- في أن هناك فعلاً محذوفاً في جملة

(١) سورة النمل: الآيات ٣٠، ٣١. وربما يقال:

في حديث رسالة سليمان في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ

سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، أنه لم يقع

الابتداء بالبسملة لتقدم قوله: (إنه من سليمان) على

البسملة، وإذا كان الابتداء فيها قد وقع بالبسملة

كان معهوداً في الجاهلية، حيث كانوا يقولون في بداية الرسائل على ما حُكي^(١):

اقتضى تأخير هذه الجملة عن البسملة كما يرد في رسائل النبي ﷺ ورسائل أمير المؤمنين عليه السلام بعد البسملة «من محمد رسول الله ﷺ إلى الملك الفلاني»، أو «من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان».

والجواب: أنه لم يتبين من سياق الآية أن قوله ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ كان جزءاً مما كتبه سليمان، بل قد يكون إيضاحاً من ملكة سبأ، لأن حكاية مضمون الرسالة إنما جاء نقلاً عنها حيث إنها: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (سورة النمل: آيات ٢٩-٣٠)، فهي إذاً أخبرتهم: (أن هذا الكتاب

الكريم من سليمان...)، ولا دلالة لهذا العرض على أن جملة (إنه من سليمان) كانت مكتوبة في الرسالة، وإذا فُرض أن سليمان عليه السلام كان قد كتب (من سليمان) فمن الجائز أن يكون مكتوباً على الطرف -إن كان- أو على أعلى الورقة قبل ابتداء الرسالة كما كان من المتعارف في الزمان السابق أن يكتبوا على غلاف الرسالة أو ظهرها: (ليصل إلى محضر العالم الفلاني) مثلاً، ولا تشتمل بداية الرسالة حينئذٍ على ذكر المرسل إليه، كما أن من الجائز أن يكون سليمان قد كتب في أول الرسالة (من سليمان) إلى ملكة سبأ أو كتب ذلك في آخر الرسالة، إلا أن ملكة سبأ وجدت عند عرضها الرسالة أن من المناسب أن يذكر أولاً مرسل الرسالة ثم مضمونها، ولما ذكرت المرسل أولاً لم تكرر ذكره الوارد في مضمون الرسالة.

(١) لاحظ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: (ج ٦ ص ٨٦-٨٧): «قال (الواحدي) في أسباب نزول الآية: ﴿وَهُمْ

«بسمك اللهم»، وكلمة «اللهم» ذكر الله سبحانه، لأن كلمة «اللهم» تتألف من كلمة «الله» ومن الميم المشددة، وهذه الميم على أقرب الأقوال تفيد معنى النداء، وهي في ذلك تناسب بعض اللغات المشتركة مع العربية في أصولها من كون حرف النداء ميماً يلحق بآخر الكلمة، فلعل العربية أخذت هذه الكلمة فيها بالاختلاط.

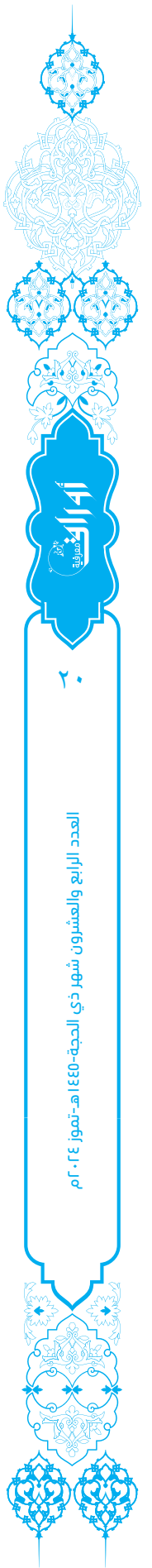
وربما حُكي أن بعض المشركين كانوا يقولون «بسم اللات والعزى» أو يسمّون باسم سائر أصنامهم^(٢).

وبناء على ذلك، فقد جاءت البسملة في بداية السور القرآنية من باب حسن

يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾: قال أهل التفسير: نزلت في صلح الحديبية، حين أرادوا كتاب الصلح. فقال رسول الله ﷺ، «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم». فقال سهيل بن عمرو والمشركون: ما نعرف الرحمن، إلا صاحب اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب. اكتب باسمك اللهم. وهكذا كانت الجاهلية يكتبون، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية».

وأيضاً في المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج ٦ ص ١١٣، «وذكر أهل الأخبار أن الجاهليين الوثنيين كانوا يفتتحون كتبهم بجملة «باسمك اللهم»..».

(٢) لاحظ: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ج ٦ ص ١١٣، قال: «كانت عوائدهم القديمة افتتاح رسائلهم بأسماء آلهتهم كاللات والعزى».



ابتداء الرسالة بالبسملة كأدب.

وهنا نلفت النظر إلى أمور:

١- إننا نعني بالرسالة الرسالة التي تتمثل في كل سورة في حدّ نفسها، وليست الرسالة التي تتمثل في القرآن الكريم مجموماً، إذ ليست سورة الحمد هي أوّل القرآن الكريم نزولاً وإن كانت قد جعلت أوّل في المصحف من دون أخواتها القصار التي جعلت في آخر المصحف تمييزاً للفتحة لأهميتها ووجوب تعلمها بخصوصها لكونها جزءاً ثابتاً من الصلاة، فالقرآن الكريم بمثابة رسائل نصية متوالية من الله سبحانه، تمثل كل سورة منها رسالة مستقلة.

بيان ذلك: أنّ القرآن أنزل على أنّه رسالة نصية من الله سبحانه إلى الخلق كما هو ظاهر، ولأجل ذلك سُمّي النبي ﷺ بالرسول كما سُمّي سائر الأنبياء المبعوثين إلى أقوامهم بالرسل في مئات الآيات القرآنية، وعُبرَ عمّا بُعثوا به بالرسالة، كقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾^(١)، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٢)، ﴿أَبْلَغُكُمْ

رِسَالَاتِ رَبِّي﴾^(٣)، ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾^(٤)، ﴿لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾^(٥)، ﴿إِلَّا بَلَاغاً مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾^(٦)، ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾^(٧).

ثم كل سورة قرآنية هي رسالة مستقلة من الله تعالى، لأنّ السورة هي كلام تام، لها بداية مقصودة ونهاية مقصودة وانفصال مقصود واستقلال منظور عن سائر السور الأخرى، فكانت بداية السورة بالبسملة تطبيقاً لهذا الأدب وهو ابتداء الرسالة بأدب البسملة.

٢- إننا نعني بالسورة التي روعي الابتداء فيها بالبسملة في القرآن الكريم هي السورة وفق إطلاق المصحف، فهي التي تبدأ بالبسملة، فلكلمة (السورة) إطلاق آخر وهي كل فقرة مقصودة لذاتها سواء كانت سورة مستقلة أم جزء سورة، وبناء على ذلك قد تعتبر السورة الواحدة من السور الطوال التي نزلت متفرقة ولغايات متعددة مثل سورة البقرة سوراً متعددة باعتبار آخر، وربما قيل إنّ هذا المعنى هو

(٣) سورة الأعراف: الآية ٦٢، ٦٨.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٣٩.

(٥) سورة الجن: الآية ٢٨.

(٦) سورة الجن: الآية ٢٣.

(٧) سورة الأعراف: الآية ١٤٤.

(١) سورة الأعراف: الآية ٩٣.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢٤.

المراد بالسورة في الإطلاق القرآني كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً مُحْكَمَةً وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾^(١)، فهي تعني مجموعة آيات تتضمن ذكر القتال وإن لم تكن لوحدها سورة في المصحف.

لكن إطلاق السورة على جزء من السور الطويلة كالبقرة لا ينافي صحة التعبير عن جميع تلك السورة الطويلة التي هي من هذا القبيل أيضًا بالسورة الواحدة بالنظر إلى التنظيم الكلي النهائي المقصود في الكلام، حيث كان من المقصود في السور الطوال التي نزلت متفرقة ضم بعضها إلى بعض في سياق واحد ومتصل ومستقل عما سواه، فصح أن يطلق عليها أنها سورة واحدة بهذا الاعتبار.

إذاً للسورة إطلاقان:

أ- إطلاق قرآني واسع^(٢) - يبدو أنه كان هو الأصل - وهو إطلاقها على كل فقرة نزلت مستقلة لغاية منظورة بها.

ب- وإطلاق أخص على كل مجموعة من الكلام اعتبرت في النهاية كلاً واحداً، وهذا هو الإطلاق الذي شاع وغلب

لاحقاً، وعليه جرى تصنيف السور في المصحف.

ووفق هذا الإطلاق تنقسم السور القرآنية إلى قسمين:

منها: سور ذات وحدة حقيقية واضحة، منها سور قصار مثل سورة الحمد، ومنها سور طوال مثل سورة يوسف.

ومنها: ذات وحدة اعتبارية، ونعني أنها قد ضُمَّت فقرات نزلت متفرقة لأغراض مختلفة مثل سورة البقرة وآل عمران.

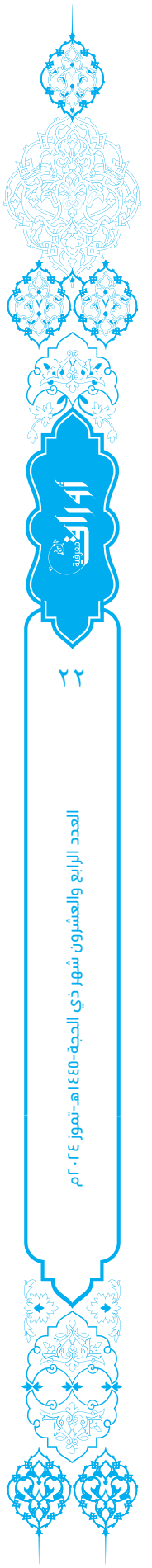
وبالسمة أدب للسورة بهذا الإطلاق الثاني الذي جرى عليه المصحف، وليس بالإطلاق القرآني الأول الذي تكون به السورة الطويلة كالبقرة عدة سور، ولذلك فإنَّ ابتداء فقرة قرآنية ما بالبسملة وابتداء الفقرة التي تليها أيضًا بالبسملة دليل على أنَّ تلك الفقرة سورة كاملة مستقلة بهذا المعنى.

٣- إن التسمية أو البسملة إنما هي أدب للرسالة الكتابية وما بمثابته، وليست لكل رسالة ولو كانت شفوية.

بيان ذلك: أن الرسالة قد تكون شفوية بالمعنى أو بالنص، وقد تكون كتابية، وقد تكون شفوية بمثابة الكتابية.

(١) سورة محمد ﷺ: الآية ٢٠.

(٢) التعبير عنه بـ(واسع) إنما هو لأنه أوسع - من الإطلاق الثاني -، لأنه يستعمل في الجزء من السور الطوال الذي نزل مستقلاً.



والرسالة الشفوية المحضة قد لا تقتضي أدباً إضافياً، كما نجد ذلك في العرف، فلو بلغ أحد كلاماً لشخص آخر من خلال رسول فإنه لا يضمن كلامه التسمية أو البسملة، وإننا قد يُضمنه السلام، فيقول الرسول «سَلِّمْ عَلَيْكَ فُلَانٌ وَيَقُولُ كَذَا»، وإننا ذلك شأن الرسالة الكتبية وما بمثابتها. والمقصود بها بمثابة الرسالة الكتبية أن تكون الرسالة شفوية، ولكن تكون نصية ويكون المراد حفظها وكتابتها وبقاؤها لاطلاع الآخرين - من نفس الجيل وربما الأجيال اللاحقة - على نصها.

والقرآن الكريم هو بهذه المثابة، فهو وإن كان كلاماً شفوياً ألقاه جبرائيل عليه السلام على النبي ﷺ ليبلغه للناس ولم ينزل على شكل قراطيس وألواح كألواح موسى عليه السلام من السماء، ولكن اعتبر وفق الآيات القرآنية نفسها منذ نزوله كتاباً وصحيفة، بمعنى أن من شأنه أن يُكتب ويحرق ويحتفظ به كما هو الحال في الكتب الأخرى، كما بينا ذلك في مباحث النبوة في الدين^(١).

ولذلك اتخذ النبي ﷺ منذ البداية كاتباً أو كتبةً مضافاً إلى عنايته ﷺ بتحفيظ القرآن للمسلمين ليبقى، وإنشاء الكلام وإلقاؤه

شفوياً لكي يُكتب ويبقى ظاهرة معهودة، فالقصائد كثيراً ما تُلقى لتُكتب وتبقى، وقد جاء أن العرب كتبوا المعلقات السبع لشعراء الجاهلية وعلقوها بالكعبة.

ولا تختص هذه الحالة في الرسائل بالقرآن الكريم، فالرسائل الإلهية كانت تنزل على أنها كتب وصحائف منذ عرف الإنسان الكتابة والصحيفة، كما قال سبحانه: ﴿صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾^(٢)، وذلك لكي تبقى هذه الرسائل محفوظة على وجه موثوق لسائر الناس والأجيال وتتم بها الحجة عليهم.

إذا لاحظنا بهذه الجهة أن البسملة أدبٌ، وابتداء الفاتحة وسائر السور القرآنية بالبسملة يندرج ضمن أدب ابتداء الرسالة بالبسملة والتسمية.

هذا بيان حقيقة البسملة ومحتواها، فحقيقتها هي نوع من الأدب ملائم لابتداء الرسائل.

(١) منهج الثبوت في الدين: ج ٥، ص ١٦، وما بعد القسم الثالث (رسالة الله إلى الإنسان).

(٢) سورة الأعلى: الآية ١٩.

الصيغ الثلاثة للدعاء

في القرآن

الشيخ محمد مهدي الآصفي

وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ
سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٢﴾.

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي *
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ ﴿٣﴾.

﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ
الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٤﴾.

﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ
الْمُنْزِلِينَ﴾ ﴿٥﴾.

﴿رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ *
وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ ﴿٦﴾.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ *
وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي

صيغ الدعاء في القرآن ثلاثة:

١- دعاء الفرد لنفسه.

٢- دعاء الفرد لغيره.

٣- دعاء الجميع للجميع.

وفيا يلي نستعرض هذه الطوائف الثلاثة
من الدعاء، لتتعرف على أساليب القرآن في
الدعاء للمؤمنين.

١- دعاء الفرد لنفسه: وهو أسلوب

معروف من الدعاء، ونجد في القرآن نماذج
من هذا الدعاء على لسان الانبياء والصالحين،
أو من تعليم الله تعالى لعباده ومن ذلك قوله
تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ
تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ
وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقْنِي
بِالصَّالِحِينَ﴾ ﴿١﴾. ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٠.

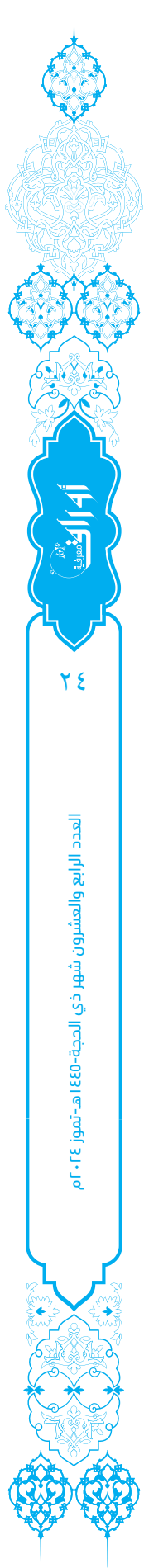
(٣) سورة طه: الآيات ٢٥ - ٢٨.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٨٩.

(٥) سورة المؤمنون: الآية ٢٩.

(٦) سورة المؤمنون: الآية ٩٧ - ٩٨.

(١) سورة يوسف: الآية ١٠١.



مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿١﴾.

٢ - دعاء الفرد لغيره: وهو نحو آخر
من الدعاء له نماذج وشواهد في القرآن ومن
ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا
رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٢).

ومنه دعاء حملة العرش للمؤمنين:
﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ
لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ
الْجَحِيمِ﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي
وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَرْوَاجِهِمْ
وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ وَقِهِمُ
السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ
وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣﴾.

٣ - دعاء الجميع للجميع: وهو أشهر
اساليب الدعاء في القرآن. واكثر ادعية
القران من هذا القبيل، ومن ذلك قوله
تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٤﴾.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ﴾ (٥).

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ

حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٦).

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا
وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٧).

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا
رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا
بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا
فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٨).

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا
وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ﴾ (٩).

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ
أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٠﴾ رَبَّنَا
وَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (١١).

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا
مُسْلِمِينَ﴾ (١١).

﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ
خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١٢).

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٠١.

(٧) سورة البقرة: الآية ٢٥٠.

(٨) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٩) سورة آل عمران: الآية ٨.

(١٠) سورة آل عمران: الآية ١٩٣ - ١٩٤.

(١١) سورة الأعراف: الآية ١٢٥.

(١٢) سورة المؤمنون: الآية ١١٠.

(١) سورة الشعراء: الآيات ٨٣ - ٨٥.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٢٤.

(٣) سورة غافر: الآيات ٧ - ٩.

(٤) سورة الفاتحة: الآيات ٦ - ٧.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٢٧.

﴿رَبَّنَا اضْرِبْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾^(١).

﴿رَبَّنَا أَمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

تحليل وتفسير للنوع الثالث من الدعاء:

وما يعيننا في هذا التقسيم هما النحوان النحو الثاني والثالث؛ وكلاهما دعاء للمؤمنين، إلا أن النحو الثاني من الدعاء دعاء الفرد للجميع، والنحو الثالث من الدعاء دعاء الجميع للجميع، وفي هذا النحو من الدعاء:

١ - المدعو له هو الجميع، فلا يدعو الفرد لنفسه، وإنما يدعو الفرد للجميع، وقد لا يكون دعاء الفرد لنفسه نافعاً، كما لو كان البلاء نازلاً على الجميع (الأمة) فيكون الفرد مشمولاً للبلاء، حتى لو لم يدخل فيما دخل فيه الآخرون من الظلم، يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾.

وفي هذا المجال لا ينفع الفرد دعاؤه واستغفاره لنفسه، وعليه ان يستغفر ويدعو للجميع، فإذا رفع الله تعالى العذاب عن

(١) الفرقان: الآية ٦٥.

(٢) التحريم: الآية ٨.

الجميع ارتفع عنه أيضًا ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾.

٢ - والداعي أيضًا يمثل الجميع، وينوب عنهم في هذا الدعاء، فإن هذا النحو من الدعاء يتصدر غالباً بكلمة «ربنا»، وكأن الفرد الداعي ينوب عن الجميع في الدعاء للجميع، ولا يعزل الداعي نفسه عن المدعو لهم، كما في النحو الثاني من الدعاء، وإنما ينوب عنهم، ويدعو لهم، ويحشر نفسه ضمن الجميع الذين يدعو لهم، وهو من أقرب الدعاء إلى الاستجابة.

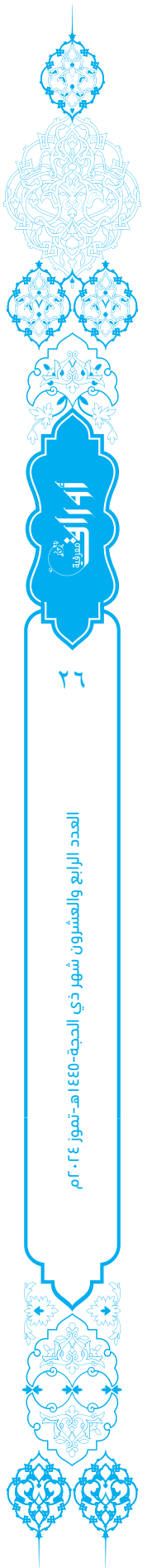
فإن الله تعالى إما أن يردها جميعاً، أو يستجيب لبعض دون بعض أو يتقبلها للجميع.

والله تعالى أكرم من أن يردها جميعاً، وليس من شأن الكريم التبعيض في الاستجابة.

فعليه يتعين الفرض الثالث، وهو الاستجابة للدعاء في حق الجميع.

وأجل ما في هذا النحو من الدعاء أن الفرد هنا يكون رسولا عن الجميع إلى الله، ويمثل الجميع ويخاطب الله تعالى باسم الجميع، ويقول: «ربنا»، وينوب عن الجميع ويكون رسول الجميع إلى الله.

وأجل من ذلك أن كل واحد منا يمنح



لنفسه الحق أن يكون رسولاً عن الآخرين إلى الله، فكل منا رسول الناس إلى الله تعالى في الدعاء، وكما أن الله تعالى رسولاً إلى الناس كذلك للناس رسل يرفعون تضرعهم وحاجتهم إلى بارئهم. والكل هنا رسول عن الكل، وينوب عن الكل.

ومن العجب أننا عندما نعيش في هذه الدنيا في السوق والشارع نضع بيننا الحواجز والسدود، ونفصل بعضنا عن بعض، ويكون لكل واحد منا حدوده وحقوقه التي لا يتراجع ولا يتنازل عنها، ولا يمثل أحداً إلا نفسه، ولا ينوب عن غيره إلا بتصریح وإذن، فإذا صعدنا إلى الله بالصلاة والدعاء، كسرنا هذه الحواجز جميعاً، ولم يكن أحداً يفصل نفسه عن غيره، وكان كل واحد منا يمثل الكل. وهذا التمثيل من ارووع التمثيل وأجله (تمثيل الجميع للجميع، ونيابة الجميع عن الجميع في النطق والنداء والدعاء بين يدي رب العالمين).

واجمل من ذلك كله أن الله تعالى يقبل هذا التمثيل والنيابة والرسالة عن الجميع من الجميع، ولا يردده ولا يرفضه، ويعطي لدعوة الداعي في هذه الحالة قوة تمثيل الجميع والنيابة عنهم، فإذا قال أحداً في صلاته: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

فكأننا رفع الجميع الدعاء للجميع يطلب الهداية من الله.

وناهيك بذلك قيمة للدعاء في هذه الحالة.

فإن كل دعاء لكل واحد منا في كل صلاة يحمل قوة دعاء الجميع للجميع. والدعاء في مثل هذه الحالة يحمل كفاءة وقوة على درجة عالية جداً في الاسترحام بين يدي الله.

وأجل من ذلك كله أن في هذه الادعية ما يجب أن يرفعها كل مسلم إلى الله تعالى في كل يوم مرات عديدة من نحو قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

فإن الجميع يمثل الجميع في الدعاء للجميع، وهو من عجائب الدعاء في حساب الرياضيات، فإنه يعود إلى تمثيل الكل للكل في الدعاء للكل، ولنتأمل مرة أخرى في قيمة هذا الدعاء.

إن الدعاء للكل ذو قيمة كبيرة باعتبار أن المدعو له هو عموم المؤمنين. وهذا العموم في المدعو له يعطي قيمة كبيرة للدعاء عند الله.

والداعي لا يرفع نداءه إلى الله بصفته الشخصية، وإنما يرفع إلى الله أيدي الجميع، ونداءهم وهتافهم، وينوب هو عن الجميع،

ويمثلهم بين يدي الله، والله تعالى يقبل من عبده هذا التمثيل والنيابة عن الآخرين.

والمؤمنون يقبلون تمثيل بعضهم لبعض بين يدي الله، فالتمثيل هنا ليس ادعاء من قبل الفرد بين يدي الله تعالى، وإنما هو تمثيل حقيقي يقبله الله تعالى، ويقبله الذين ينوب عنهم الفرد في الدعاء بين يدي الله، فهو تمثيل شرعي مقبول.

وكل دعاء في هذه الحالة يحمل قوة دعاء الجميع. فإذا دعا منا فرد بين يدي الله وقال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فكأنما رفع الجميع هذا الدعاء إلى الله، وهذا الدعاء بهذه الدرجة من القوة والكفاءة، يرفعه في كل يوم كل مسلم يقف بين يدي الله تعالى للصلاة، ويدعو للجميع بالنيابة عن الجميع.

وفي كل يوم يضج الناس إلى الله تعالى بهذه الصرخة غير المتناهية في القدرة على الاسترحام والاستعطاف عشر مرات إلى الله تعالى.

وأجل من ذلك كله أن الله تعالى هو الذي دعانا إلى أن نضج إليه كل يوم بهذه الصرخة عشر مرات، وهو الذي علمنا أن نستهديه ونطلب منه الهداية للجميع، وهو الذي علمنا أن ننوب عن الجميع في هذا الدعاء، وهو الذي يقبل منا هذه النيابة

والتمثيل ..

فهل يمكن أن لا يستجيب بعد ذلك كله لدعائنا؟ حاشا.

[الدعاء عند أهل البيت]

للمؤمنين دقة الصنع في الخلق، التفكير في هذا الموجود الضعيف على الظاهر، والشبه بالفيل في الواقع، يبين للإنسان عظمة الخالق.

خرطوم هذا الحيوان الصغير يشبه خرطوم الفيل، أجوف، ذو فتحة دقيقة جداً، وله قوة ماصة تسحب الدم.

منح الله هذا الحيوان قوة هضم وتمثيل ودفع، كما منحه أطرافاً وأذناً وأجنحة تتناسب تماماً مع وضع معيشته. هذه الحشرة تتمتع بحساسية تشعر فيها بالخطر بسرعة فائقة وتفرّ عندما يدهمها عدوّ بمهارة عجيبة، وهي مع صغرها وضعفها يعجز عن دفعها كبار الحيوانات، أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول في هذا الصدد: «كَيْفَ وَلَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا وَمَا كَانَ مِنْ مُرَجِّحِهَا وَسَائِمِهَا، وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَأَجْنَاسِهَا، وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا، عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَّرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى إِيجَادِهَا، وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَنَاهَتْ، وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً، عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ، مُقَرَّرَةٌ بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا، مُدْعِنَةٌ بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا»^(٢).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٦، وبحار الانوار: ج ٤، ص ٢٥٥.

[تفسير الامثل]



لماذا التمثيل بالبعوضة؟

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]

المعاندون اتخذوا من صغر البعوضة والذبابة ذريعة للإستهزاء بالأمثلة القرآنية.

لكنهم لو أنصفوا وأمعنوا النظر في هذا الجسم الصغير، لرأوا فيه من عجائب الخلقة وعظيم الصنع والدقة ما يحير العقول والألباب. يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:

بشأن خلقة هذا الحيوان الصغير: «إِنَّمَا ضَرَبَ اللَّهُ الْمَثَلَ بِالْبَعُوضَةِ لِأَنَّ الْبَعُوضَةَ عَلَى صِغَرِ حَجْمِهَا خَلَقَ اللَّهُ فِيهَا جَمِيعَ مَا خَلَقَ فِي الْفِيلِ مَعَ كِبَرِهِ وَزِيَادَةِ عُضْوَيْنِ آخَرَيْنِ، فَأَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُنَبِّهَ بِذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى لُطْفِ (لَطِيفِ) خَلْقِهِ وَعَجِيبِ صَنْعَتِهِ»^(١).

يريد الله سبحانه بهذا المثال أن يبين

(١) تفسير مجمع البيان، ذيل الآية مورد البحث، وبحار الانوار: ج ٩، ص ٦٤.

افلا تعقلون

الحسن والقبح

شيخ الطائفة الطوسي

الغرض بالكلام في العدل الكلام في تنزيه الله تعالى عن فعل القبيح والاخلال بالواجب، فإذا حصل العلم بذلك حصل العلم بالعدل. والطريق الموصل إلى ذلك أن نبين أنه تعالى قادر على القبيح، ثم نبين بعد ذلك أنه لا يفعله بعد أن نبين تقدم معنى الفعل وانقسامه، ثم نعود إلى الغرض. وحقيقة الفعل ما وجد بعد أن كان معدوماً. ولا يخلو الفعل من أن يكون له صفة زائدة على حدوثه أم لا يكون له صفة زائدة، فما ليس له صفة زائدة هو كلام الساهي والنائم وحركات أعضائه التي لا تتعداه، وما له صفة زائدة على حدوثه، إما أن يكون حسناً أو قبيحاً، فالحسن هو كلُّ فعل إذا فعله العالم به أو المتمكن من العلم به مختاراً لا يستحق

عليه الذم. وهو على ضربين: أحدهما له صفة زائدة على حسنه، والآخر لا صفة له زائدة على حسنه. فما لا صفة له زائدة على حسنه هو الموصوف بأنه مباح إذا علم فعله أو دل عليه، وما له صفة زائدة على حسنه فهو كلُّ فعل يستحق به المدح على بعض الوجوه. وهو على ضربين:

أحدهما إذا لم يفعله استحق الذم على بعض الوجوه، والآخر لا يستحق الذم إذا

لم يفعله على حال. فالأول موصوف بأنه واجب على ثلاثة أقسام:

أحدها: واجب مضيق كالصلاة المفروضة وكرد عين الوديعة، والثاني: يكون مخيرا فيه كال كفارات الثلاث في اليمين، والثالث: من فروض الكفايات إذا قام به بعض سقط عن الباقي كرد السلام والجهاد والصلاة على الأموات. وما هو ندب على ضربين: أحدهما يكون نفعا واصلا إلى الغير فيوصف بأنه إنعام وإحسان إذا قصد ذلك، والآخر لا يتعداه فلا يوصف بأكثر من أنه ندب. وأمثلة ذلك في أفعالنا وأفعاله قد ذكرناها في شرح الجمل والمقدمة وغير ذلك من كتبنا.

والقبیح هو كل فعل إذا وقع من عالم بقبحه أو متمكن من العلم بقبحه استحق عليه الذم على بعض الوجوه. والعلم بقبح القبائح ووجوب الواجبات [يكون عقليا وشرعياً: فالعقليات كالعلم بقبح الظلم والجهل والكذب العاري من نفع أو ضرر والعبث وغير ذلك، والواجبات] كالعلم بوجوب ردّ الوديعة والانصاف وقضاء الدين والعلم بحسن الاحسان وغير ذلك. وأما ما يعلم بالشرع فكلما لا يمكن

معرفة بالعقل كالعبادات الشرعية من الصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك، وكقبح شرب الخمر والزنا وغير ذلك، فإنه لا مجال للعقل في العلم بذلك.

والذي يدل على ما قلناه من أن العلم بما تقدم هو العقل دون الشرع، هو أن كل عاقل مفطور العقل يعلم قبح الظلم وقبح الجهل والكذب والعبث، فلولا أن طريق ذلك العقل لما وجب شمول العلم لجميع العقلاء، ولكان يقف على من علم صحة السمع. وفي علمنا باشتراك جميع العقلاء من موحد وملحد ومقر بالنبوات وجاحد لها في العلم بذلك دليل على أن طريق ذلك العقل. وقولهم: «إنهم علموا ذلك لمخالطتهم للعقلاء من أهل الشرع» باطل، لأنه لو كان كذلك لعلموا قبح كل ما علمه أهل الشرع من قبيح شرب الخمر والزنا وغير ذلك، وفي العلم بالفرق بينهما دليل على فساد ما قالوه. ومتى قالوا: إن العقلاء لا يعلمون ذلك أو يعتقدونه اعتقادا ليس بعلم. لزمهم أن يقولوا لا يعلمون المشاهدات أيضًا؛ لأن في الناس من قال طريق ذلك السمع، ولزم عليه قول السوفسطائية وأصحاب العنود في نفهم العلم بشيء من الأشياء ونسبتهم ذلك كله إلى الظن



والحسبان، وذلك باطل بالاتفاق. فأما الذي يدل على أنه تعالى قادر على القبيح، فهو ما ثبت من كونه خالقاً لكمال العقل والعلم بالمشاهدات، ومن شأن القادر على الشيء أن يكون قادراً على جنس ضده، فيجب أن يكون قادراً على ضد هذه العلوم من الجهل، والجهل قبيح. وأيضا فالقبيح من جنس الحسن، بدلالة أن قعود الإنسان في دار غيره غصبا من جنس قعوده فيها بإذن مالكها، وأحدهما قبيح والآخر حسن. والقديم تعالى قادر على الأجناس كلها، ومن كل جنس على ما لا نهاية له؛ لأنه قادر لنفسه على ما مضى، ولا اختصاص له بقدر دون قدر ولا بجنس دون جنس.

وأيضاً فهو تعالى قادر على تعذيب الكفار بلا خلاف وهو حسن، فإذا أسلم الكافر قبح عقابه ولم يخرج إسلامه إياه تعالى عن كونه قادراً، فبان بذلك أنه قادر على القبيح. فإذا ثبت ذلك فالذي يدل على أنه لا يفعله علمه بقبح القبائح وعلمه بأنه غني عنه، والعالم بقبح القبيح وبأنه غني عنه لا يجوز أن يختاره.

ألا ترى أن من خير بين الصدق والكذب في باب الوصول إلى غرضه وهو عالم بقبح الكذب وحسن الصدق لا يجوز

أن يختار الكذب على الصدق مع تساويهما في الغرض، ولا علة لذلك إلا كونه عالماً بقبح الكذب وبأنه غني عنه بالصدق فيجب أن يكون تعالى لا يفعل القبيح لثبوت الأمرين. على أنه لو جازت عليه الحاجة لما جاز أن يفعل القبيح؛ لأنه يقدر من جنسه من الحسن على ما لا يتناهى. ألا ترى أن المخير بين الصدق والكذب مع تساوي الغرض قد بينا أنه لا يختار الكذب مع جواز الحاجة إليه؛ لأنه يستغني عنه بالحسن الذي هو الصدق. وكذلك القديم لا قبيح إلا وهو يقدر من جنسه من الحسن على ما لا يتناهى، فلا يجوز أن يختاره مع علمه بقبحه. والقديم تعالى لا يريد القبائح على وجه؛ لأنه لا يخلو أن يريده لنفسه أو بإرادة قديمة أو محدثة، وقد بينا أنه ليس بمريد لنفسه ولا بإرادة قديمة فبطل ذلك. ولو أراد به بإرادة محدثة لكان هو الفاعل لها؛ لأنه لا يقدر أن يفعل إرادة لا في محل سواه. ولو كان هو الفاعل لها لكان فاعلاً للقبيح، لأن إرادة القبيح قبيحة، بدلالة أن من علمها إرادة القبيح علم قبحها ومن لم يعلمها كذلك لم يعلم قبحها، وذلك يؤدي إلى أن يكون فاعلاً للقبيح، وقد دللنا على أنه لا يجوز أن يكون فاعلاً للقبيح على حال. وأيضا فقد ثبت بلا خلاف أنه ناه عن

القيح، وقد بينا أن النهي لا يكون نهياً إلا بکراهية المنهي عنه، ولو كان مريداً للقيح لأدى إلى أن يكون مريداً للشيء كارهها له، وذلك باطل. وأيضاً فلو أراد القيح لكان محباً له، راضياً به، لأن المحبة والرضا هي الإرادة إذا وقعت على وجه مخصوص، وأجمعت الأمة على خطأ من أطلق ذلك على الله تعالى وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾^(١)، و﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢)، و﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٣). ومن أعظم العسر الكفر والقبائح المؤدية إلى العقاب، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤)، ومعناه أراد منهم العبادة لأن هذه اللام لام الغرض لأنها لو كانت لام العاقبة لكان كذباً لوجودنا كثيراً من الجن والإنس غير عابدين لله تعالى. وقوله: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾^(٥)،

واضح في أنه لا يريد القيح لأنه كذب من أضاف ذلك إلى الله، ومن أنه اتباع للظن دون العلم، وآيات القرآن شاهدة بذلك وهي أكثر من أن تحصى. وقوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾^(٦)، اللام ههنا لام العاقبة كما قال: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(٧)، ولم يلتقطوه إلا ليكون قرة عين لهم. وقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾^(٨) إخبار عن قدرته أنه قادر. على أن يلجئ الخلق إلى الهدى والإيمان، لكن لا يفعل ذلك؛ لأنه ينافي التكليف وينتقض الغرض به، وجرى ذلك مجرى قوله: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾^(٩).

وكذلك كل آية يتعلقون بها فالوجه فيها ما قلناه في هذه الآية، نحو قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾^(١٠)، وقوله: ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ هُدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(١١)، وما يجري مجرى ذلك من الآيات، فالوجه فيها

(٦) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

(٧) سورة القصص: الآية ٨.

(٨) سورة السجدة: الآية ١٣.

(٩) سورة الشعراء: الآية ٤.

(١٠) سورة يونس: الآية ٩٩.

(١١) سورة الرعد: الآية ٣١.

(١) سورة غافر: الآية ٣١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٤) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٥) سورة الانعام: الآية ١٤٨.

ما ذكرناه. فلا نطول بذكرها، وقد بينا الوجه فيها جميعه في تفسير القرآن مستوفى لا يحتمل ذكره ههنا. وقولهم: «لو أراد من خلقه الإيمان والطاعة وما لا يقع للحقه بذلك وهن وضعف ونقص، لأن الملك إذا أراد من رعيته ما لا يقع دل على ضعفه» باطل؛ لأن الأمر بخلاف ما قالوه في الشاهد، لأن السلطان متى أراد من رعيته ما يعود نفعه عليهم لا عليه فلم يقع أو وقع خلافه لا يلحقه ضعف ولا نقص، وإنما يجوز أن يقال ذلك فيما يعود نفعه عليه من نصرته والدفاع عنه مما يستتضر بفوته، والقديم تعالى لا يريد إلا ما يكون نفعه للخلق دونه تعالى لاستحالة النفع عليه.

وكيف يشبه الحال في ذلك ونحن نعلم أن سلطان الاسلام يكره من اليهودي الزمن المقعد الدخول إلى كنيسة ويريد منه الاسلام والدخول في المساجد ومع ذلك فإنما يقع منه دخول الكنيسة دون المسجد، ولا عاقل يقول إن سلطان الاسلام ضعف بذلك. ثم يلزمهم أنه إذا وقع من الكافر خلاف ما أمر الله به أن يلحقه ضعف؛ لأن الشاهد لا يفصل بين الموضوعين. ولا خلاف أن الله أمر الكافر بالإيمان، ومع هذا فلم يقع ذلك منه،

فيجب على أصلهم أن يلحقه ضعف. فبأي شيء فصلوا بين الأمرين فهو فصلنا في الإرادة. وأيضاً فالمعلوم ضرورة أن النبي ﷺ أراد من الكفار كلهم الإيمان ولم يلحقه باستمرارهم على الكفر وهن ولا ضعف ويلزمهم على ذلك أن يكون الله تعالى أمرهم بأن يضعفوه ويوهنوه من حيث أمرهم بما لا يريده منهم على قوْلهم، وذلك باطل بالاتفاق. وقولهم: «لو فعل العبد ما كره الله تعالى لكان قد فعل ما أباه وذلك لا يجوز» باطل؛ لأن الإباء ليس بكراهية؛ لأن الإباء هو المنع والامتناع، ولهذا يتمدحون بأن يقولوا «فلان يأبى للضميم» أي يمتنع منه، ولا مدحه في أنه يكره الضيم لأن الضعيف أيضا يكرهه. وتعلقهم بأن المسلمين قالوا: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن» وذلك يمنع من أنه أراد الإيمان من الكافر ولم يرد الكفر منه. غير صحيح؛ لأن هذا الإطلاق غير مسلم، لأن جميع أهل العدل يمتنعون من إطلاقه. ثم إن المسلمين أيضا يقولون: «لا مرد لأمر الله ولا محيص منه»، وعلى قولهم الكافر قد رد أمر الله، ومتى منعوا من ذلك منعنا مثله وإن تأولوا أولنا.

ولو سلم ذلك لكان المعنى ما شاء

الله من فعل نفسه كان وما لم يشأ من فعل نفسه لم يكن أو ما شاء الله من فعل غيره وأجلاً إليه كان. ومتى قالوا لو شاء الله جميع الطاعات لكان القائل إذا حلف أنه يقتضي دينه غدا إن شاء الله إذا لم يقضه يحنث، وأجمعوا على خلافه. قيل: في الناس من قال إنه يحنث وهو أبو علي ومن قال لا يحنث قال المشيئة دخلت اتفاقاً للكلام دون أن تكون شرطاً ولأجل ذلك تدخل في الماضي وإن كان الشرط لا يدخل في الماضي. فإن قيل: هل أفعال العباد بقضاء الله وقدره أم لا؟ قلنا: القضاء في اللغة على أربعة أقسام:

أحدها: بمعنى الخلق والأحداث: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾^(١)، أي خلقهن وأحدثهن.

والثاني: أن يكون بمعنى الحكم، كقوله: ﴿اللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾^(٢)، ومنه اشتقاق القاضي.

والثالث: بمعنى الأمر والالزام، كقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(٣)، أي: أمر وألزم.

(١) سورة فصلت: الآية ١٢.

(٢) سورة غافر: الآية ٢٠.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

والرابع: بمعنى الأعلام والأخبار، كقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٤)، أي أعلمناهم وأخبرناهم^(٥).

ولا يجوز أن يكون قضى أفعال العباد بمعنى أحدثها، لأن فعل العبد لا يخلو أن يكون قبيحاً أو حسناً، فما هو قبيح لا يجوز أن يكون فعلاً له؛ لأننا قد بينا أنه لا يفعل القبيح، وما هو حسن لا يجوز أيضاً أن يفعله لأنه فعلنا، والفعل الواحد لا يكون من فاعلين على ما نبينه. ولا يجوز أن يكون قضاء أفعالهم بمعنى حكم أو أمر وألزم؛ لأن أحداً من الأمة لا يقول إن الله ألزمنا فعل المعاصي أو حكم علينا بأن نفعلها. وأما القضاء بمعنى الإعلام والإخبار فإنه يجوز أن يقال على ضرب من التقييد؛ لأن الله تعالى أخبر وأعلم مالنا في فعل الطاعة من الثواب وما علينا بفعل المعاصي من العقاب، فجاز أن يضاف إلى الله تعالى القضاء على هذا الوجه. وأيضاً فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: يقول الله تعالى: «من لم يرض بقضائي ولم يشكر نعمائي»

(٤) سورة الإسراء: الآية ٤.

(٥) أصل الكلمة بمعنى إحكام الأمر وإتقانه وإنفاذه لجهته، والمعاني التي ذكرها المؤلف تعود إلى ما ذكر انظر معجم مقاييس اللغة: ج ٥ ص ٩٩.

ولم يصبر على بلائي فليتخذ ربا سواي»
فلو كانت المعاصي بقضاء الله وأحداثه
لوجب الرضا بها، وذلك خلاف
الإجماع. والقول في القدر على مثل ذلك،
لأن القدر يستعمل بمعنى الأحداث
والخلق كما قال: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ﴾^(١)، فعلى هذا
لا يجوز أن تكون المعاصي بقدر الله، لمثل
ما قلناه في القضاء. وقد يستعمل بمعنى
التقدير كما قال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ
الْقَادِرُونَ﴾^(٢)، فعلى هذا يجوز أن يقال:
أفعالنا بقدر الله، بمعنى أنه قدر ما علينا
من الثواب أو العقاب، فينبغي أن يقيد
القول في ذلك ولا يطلق به. فإن قيل:
مضى في الكلام أن الواحد منا محدث
لأفعاله وموجد لها، فما الذي يدل على
ذلك.

قلنا: الدليل على ذلك وجوب
وقوعها بحسب دواعينا وأحوالنا
وانتفاؤها بحسب صوارفنا وكرهاتنا،
فلولا أنها فعلنا لما وجب ذلك كما لا
يجب ذلك في طولنا وقصرنا وخلقنا
وهيأتنا، ولا تجب أيضا في أفعال غيرنا لما
لم تكن متعلقة بنا.

(١) سورة فصلت: الآية ١٠.

(٢) سورة المرسلات: الآية ٢٣.

وإنما قلنا بوجوب وقوعها بحسب
دواعينا وأحوالنا لأن الواحد منا متى
دعاه الداعي إلى القيام أو القعود ولا
صارف له عن ذلك ولا مانع، فإنه
لا بد أن يقع ما دعاه الداعي إليه، وليس
كذلك ما لا تعلق له به كطوله وقصره.
ولا فرق بينهما إلا أنها محدثة بنا ومتعلقة
بجهتنا. ومتى قيل إن ذلك بالعادة، كان
ذلك باطلا بالوجوب الذي اعتبرناه،
لأن ما يستند إلى العادة لا يجب وقوعه
على كل حال. ويلزم على ذلك أن يكون
انتفاء السواد بالبياض وحاجة العلم إلى
الحياة وما جرى مجراه من الواجبات كله
بالعادة، وذلك باطل بالاتفاق.

على أن تعلق الفعل بالفاعل لا بد
أن يكون معقولا قبل إسناده إلى فاعل
معين، ولا يعقل في تعلقه بالفاعل أكد
من وجوب تعلقه بدواعيه وأحواله،
وهذا حاصل معنى، فينبغي أن يكون
كافيا في تعلقه بنا وهو في غيرنا مجوز، ولا
يترك المعلوم إلى المجوز على ذلك. ومتى
قيل إن أفعالنا تحتاج إلينا في كونها كسبا
دون الحدوث. قلنا ذلك باطل، لأن
الذي يتجدد عند دواعينا وأحوالنا هو
الحدوث لا غير دون شيء من صفاته،
فينبغي أن يكون هو من جهة الحاجة دون

غيره هو الذي يتجدد عند وجود الحركة كونه متحركاً، وكان كونه متحركاً هو المحجوج إلى الحركة دون غيره والكسب الذي يدعونه غير معقول، فكيف تعلق الحاجة به ويترك الحدوث الذي هو أمر معقول معلوم، والكسب ليس بمعقول ولا معلوم.

فإن قيل: كيف لا يكون معقولا والانسان يفصل بين أن يمشي مختاراً وبين أن يسحب على وجهه. قلنا: الفرق يرجع إلى ما قلناه من أن مشيه مختاراً متعلق به وبإيثاره، وإذا سحب على وجهه كانت الحركة فيه ضرورية فلذلك فرق بينهما. فإن قيل: يتجدد عند دواعينا صفات من حسن وقبح وحلول في محل وكونه غرضاً وغير ذلك، فلم قلت أن الذي يتعلق بنا الحدوث دون شيء من ذلك؟ قلنا: أما الحسن والقبح فقد يخلو كثير من الأفعال منهما، نحو كلام الساهي والنائم وحركة أعضائه التي لا يتعداه وحلوله في المحل ليس له به صفة، وإنما يفيد أنه من قبيل ما لا يجب بقاؤه بقاء المحل. ثم كثير من الأفعال يخلو من محل كالجوهر والغناء وإرادة القديم وكرهته ولا يخلو فعل من حدوث فينبغي أن تكون جهة الحاجة الأمر الشائع في سائر الأفعال

وسائر القادرين. واستقصاء ما يورد على هذا الدليل وشعبه قد استوفيناه في شرح الجمل، وفيما ذكرناه كفاية إن شاء الله. وإنما قلنا: إنها هو مقدور لنا لا يجوز أن يكون مقدوراً له لأن ذلك يؤدي إلى كونه موجوداً معدوماً؛ لأننا لو فرضنا أن الواحد منا دعتة الدواعي إلى إيجاده وجب حدوثه من جهته؛ وإذا لم يرده الله تعالى يجب أن لا يوجد، مجتمع في فعل واحد وجوب حدوثه ووجوب انتفائه، وذلك محال فوجب بطلانه على كل حال. وما يدل أيضاً على أن الواحد منّا يحدث لأفعاله، أنه يحسن مدحنا على بعض الأفعال وذمنا على بعض، لأن من فعل الطاعة يحسن مدحه ومن فعل الظلم يحسن ذمه، ولا يحسن مدحه ولا ذمه على طوله وقصره وحسنه وقبحه، وإنما كان كذلك لأن الأول متعلق بنا والثاني غير متعلق بنا لا بشيء سواه. وأيضاً فإنه يحسن أن يأمر بعضنا بالقيام والقيود وينهاه عنه ولا يحسن أن يأمره. بالطول والقصر ولا ينهاه عنهما، وإنما كان كذلك لأن الأول مقدور له فحسن أمره والثاني غير مقدور له فلم يحسن أمره به ولا نهيه عنه. فبان بجميع ذلك أن الواحد فاعل، والقرآن يؤكد ذلك؛ لأنه قال: ﴿جَزَاءً

بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾، وَ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٢﴾، وَ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﷺ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿٣﴾، وَقَالَ: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ ﴿٤﴾، وَ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ ﴿٥﴾، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي أَضَافَ الْفِعْلَ فِيهَا إِلَيْنَا، [فَمَنْ نَفَى الْفِعْلَ عَنَا فَقَدْ خَالَفَ الْعُقُولَ وَالْقُرْآنَ. وَمَتَى قِيلَ: أَضَافَهُ إِلَيْنَا] مِنْ حَيْثُ كَانَ كَسْبًا لَنَا قُلْنَا: إِنْ الْكَسْبُ لَيْسَ بِمَعْقُولٍ، فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَعُولَ عَلَيْهِ. عَلَى أَنْ عِنْدَهُمْ إِنْ الْمُتَوَلَّدُ لَا كَسْبَ لِلْعَبْدِ فِيهِ [عِنْدَهُمْ، وَالظُّلْمُ لَا كَسْبَ لِلْعَبْدِ] فِيهِ؛ لِأَنَّهُ مُتَعَدٍّ عَنْ مَحَلِّ قُدْرَتِهِ لِأَنَّهُ يَوْجَدُ فِي الْمَظْلُومِ، وَعِنْدَهُمْ إِنَّمَا تَعْدَى مَحَلَّ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ لَا كَسْبَ لِلْعَبْدِ فِيهِ فَكَيْفَ يُمْكِنُهُمْ حَمْلُ الْآيَةِ عَلَيْهِ. وَمَتَى قَالُوا: إِنْ الْكَسْبُ الَّذِي هُوَ الظَّالِمُ فِي الظُّلْمِ كَالْقَتْلِ الَّذِي لَيْسَ بِمُسْتَحَقٍّ عَلَيْهِ وَالضَّرْبُ الَّذِي لَيْسَ بِمُسْتَحَقٍّ عَلَيْهِ؛ وَإِنَّهُ فِي الْقَاتِلِ وَالضَّارِبِ دُونَ الْمَقْتُولِ وَالْمَضْرُوبِ. كَانَ ذَلِكَ مَكَابِرَةً لِلْعُقُولِ، وَيَلْزِمُ عَلَى

ذلك أن يكون البناء في الباني دون المبني والنساجة في الناسج دون الثوب المنسوج، وذلك تجهل من بلغ إليه لا يحسن كلامه. وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٦﴾، المراد به الأجسام، لأن الذي كانوا يعبدون الأصنام دون أفعالهم فيها، فعنفهم الله تعالى بأن قال: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ ﴿٧﴾ من الأجسام؛ ﴿اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [مِنَ الْأَجْسَامِ الَّتِي تَنْحِتُونَ مِنْهَا الْأَصْنَامَ، وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ وَمَا يَعْمَلُونَ] فِيهِ. عَلَى أَنَّهُ يُضَافُ الْمَعْمُولُ فِيهِ إِلَى أَنَّهُ عَمَلُ الصَّانِعِ، فَيُقَالُ هَذَا الْبَابُ عَمَلُ النَّجَّارِ وَهَذَا الْبِنَاءُ عَمَلُ الْبَانِي وَهَذَا الْخَاتَمُ عَمَلُ فُلَانٍ، فَيُضَيِّفُونَ الْمَعْمُولَ فِيهِ إِلَى الْعَامِلِ، وَذَلِكَ مَجَازٌ.

[الاقتصاد]

(١) سورة الأحقاف: الآية ١٤.

(٢) سورة التوبة: الآية ٨٢.

(٣) سورة الزلزلة: الآية ٧-٨.

(٤) سورة النساء: الآية ١٢٣.

(٥) سورة الفرقان: الآية ١٩.

(٦) سورة الصافات: الآية ٩٦.

(٧) سورة الصافات: الآية ٩٥.

تشابه الفكر الالتقاطي

مع البدعة

الشيخ محمّد تقي مصباح اليزدي

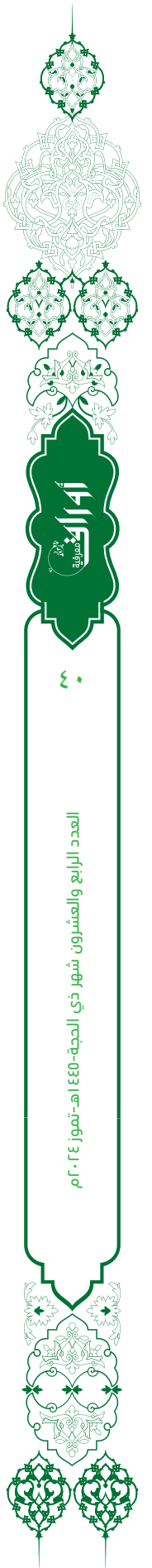


برأيه في حقل اختصاصه» ويعتقدون
بوجوب استطلاع رأي الخبراء في كل
فنٍّ اذا ما اتخذت الموضوعات طابع
التخصصية. ولكن ربما يبرز في مقام
العمل احياناً أناس يتجاهلون القاعدة
العقلية الأنفة الذكر، فيدلون بآرائهم في
مختلف المجالات التي لا تعد قطعاً من

الالتقاط تعني في اللغة التناول
والأخذ من الأرض، والفكر الالتقاطي
يُطلق على نمط معين من التفكير،
ولإيضاح هذا النمط من الفكر لابد لنا
من إيراد مقدمة هي:

يؤكد أصحاب الفكر والرأي على
القول بأنه: «خليقٌ بكلّ مفكر الإدلاء





اختصاصهم.

تقوم هذه الطائفة من الناس بانتقاء رؤية معينة من بين النظريات المطروحة في كل حقل من الحقول، ودون معرفة بالأسس الفكرية للرؤية المتتقة تتخذ مجموعة من الرؤى كفكر لها وتقدمه للآخرين، وقد يتيسر تشخيص التباين بل وحتى التناقض بين مفاصل هذه الفكرة بقليل من الدقة.

انهم على سبيل المثال - ومن خلال ما قاموا به من مطالعات في مجالات علم النفس وعلم الاجتماع والسياسة والحقوق والفلسفة والدين، يقومون بتسجيل مجموعة من النظريات التي تنبثق كل منها عن مشرب معين، وهذه النظريات لم تتبلور على اساس التحريات الدقيقة والمعمقة في الاسس الفكرية لها والاخذ بنظر الاعتبار تطابقها أو تناقضها، بل تحظى بالقبول التام لشدة انسجامها مع سليقة مَنْ تولى تدوينها، ومن ثم تأخذ مكانها إلى جانب سائر النظريات.

ان اهم إشكال يرد على مثل هذه الآراء غير التخصصية هو عدم

تجانسها مع بعضها. ولهذا السبب بل للتناقض الموجود فيما بينها أيضاً، فهي عاجزة عن بلورة مجموعة متجانسة من الافكار الصحيحة.

بناءً على هذا فان ما يصطلح عليه «الفكر الالتقاطي» عبارة عن: مجموعة من النظريات المنبثقة عن مذاهب متباينة وربما متناقضة جُمعت مع بعضها، ونظراً للتباين في اسس هذه المذاهب والنظريات وقواعدها أو تضادها فبعضها - على سبيل المثال - منبثق عن المذاهب القائلة بمحورية الإنسان، وآخر عن المذاهب التي تؤمن بمحورية الله، وثالث يقوم على اساس اصالة الفرد، فيما ينبثق بعضها الآخر من المذاهب القائمة على اساس اصالة المجتمع، بعضها نابع من «الليبرالية» و«فصل الدين عن الدولة»، وتقوم أخرى على اساس محورية الدين فقد وقع بعض اصحاب الفكر الالتقاطي في ورطة التعددية ونظرية أن جميع الأديان والافكار صادقة.

لقد تفسى هذا النمط من التفكير -الفكر الالتقاطي- في مجتمعنا

الإسلامي أيضًا لاسيما خلال نصف القرن الأخير بين اوساط الذين لا يتمتعون بقوة فكرية وقدرة تحقيقية وعلمية كافية، فليسوا قليلين مَنْ هم مسلمون وغير مستعدّين -حين الحديث- للتنازل عن كل الإسلام والمعتقدات الدينية من جانب، لكنهم من جانب آخر في غاية الانبهار بنظريات الآخرين في شتى المجالات، وهم في نفس الوقت لا يتمتعون بالتخصص في المسائل الدينية بما فيه الكفاية ولا في المجالات التي يدلون بدلوه فيها.

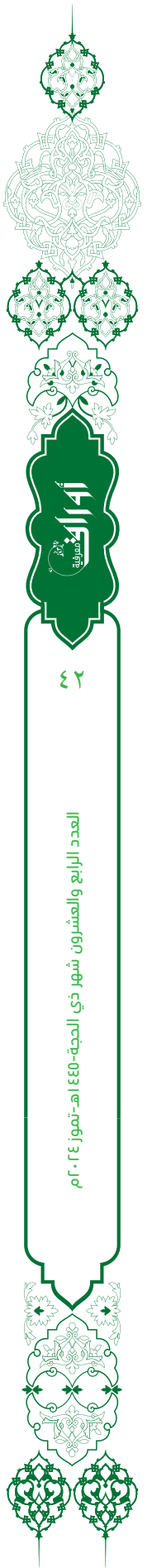
من الطبيعي ان يستدعي البحث عن الحق في بعض الموارد ان يقوم المرء بمراجعة دقيقة لأفكاره لئلا يكون هواه قد غلب منطقته وعقله -لا سمح الله- ولئلا يقع المرء دون وعي منه في مصيدة الماكزين.

ثمة اصطلاح في الروايات الإسلامية وهو «الاجتهاد بالرأي» وهو عبارة عن ممارسة الحكم المسبق وتحكيم الرغبات الشخصية في استنباط الاحكام، وهذه الطريقة من الفهم للدين موضع ذم شديد من قبل

هذه الطائفة من الروايات، ويقف في مقابلها الفهم الصحيح والعقلاني للدين وهو المعروف بـ «الفقاهة».

ربما يكون المرء محملاً بمجموعة من السوابق الذهنية والرغبات الشخصية قبل قيامه بالتحقيق حول أية مسألة، فان لم يتخلص منها في مقام التحقيق فلن تكون النتيجة الحاصلة من التحقيق أصيلة ونزيهة، من هنا فان إقحام بعض الدوافع الباطنية من قبيل: حب الشهرة، نيل الشعبية والموقع الاجتماعي، أو سائر المصالح الشخصية في عملية الاستنباط من الدين ممّا من شأنه دفع الإنسان لتوجيه وتفسير الاحكام والمعارف الدينية بالنحو الذي يصب بالنهاية في صالح مآربه النفسية يُسمى «الاجتهاد بالرأي»، وهذا الفهم للدين هو في الحقيقة إملاءٌ لمعتقد المرء ورأيه على الدين وليس فهماً محايداً وطالباً للحق.

ان اشتراط العدالة والتقوى إلى جانب شرط الاجتهاد- القدرة على الاستنباط المنهجي والعقلاني من الدين- فيما يتعلق بالذين يتصدون للمرجعية الدينية للناس، انما يأتي



للحد من «الاجتهاد بالرأي» ومن خلال الجمع بين الاجتهاد والفقاهة وبين العدالة والتقوى بما يحقق الشرط العلمي الضروري وكذلك المؤهل الاخلاقي للاستنباط عن الدين، ستكون لما يُستنبط كنتيجة لهذا التحقيق الحجية على المجتهد ومقلديه. وهناك مفردة اخرى تستخدم في العرف الديني تسمى «البدعة في الدين» وهي عبارة عن: نسبة ما ليس من الدين للدين نتيجة للاجتهاد بالرأي والفهم الالتقاطي لمصادر الدين، فكما قلنا ان الاجتهاد بالرأي هو اقحام السوابق الذهنية والنظريات التي تم قبولها سلفاً في عملية الاستنباط عن الدين، وهذه النظريات بطبيعتها انما تتبلور في عقول المحققين عن مذاهب ومشارب غير دينية أو تتنافى مع الدين أيضاً، وإلا لو كانت منبثقة عن الدين وجزءاً منه لما تناقضت مع جوانب الدين الاخرى أبداً.

بناءً على هذا، من الممكن اعتبار البدعة نتيجة الفكر الالتقاطي، واعتبار الفكر المذكور نتيجة لتدخل المآرب النفسية والميول الشخصية في

معرفة الدين وتفسيره.

لا يخفى أن ما ينسبه أصحاب الفكر الالتقاطي للدين، ونظراً لعدم اقترانه بالفهم الصحيح والمحايد للدين وفقدانه المقدمات والشروط الضرورية لهذا الأمر، لا حجية له من الناحية العقلية والشرعية لا فيما يتعلق بأصحاب هذا الطراز من الفكر أنفسهم ولا غيرهم، ولا يقوى على الاجابة عن مساءلة الباري تعالى في الآخرة عن الافعال.

[أسئلة وردود]

الفلسفة وعلم الكلام

الشيخ العلامة محمد رضا المظفر

إِلَّا أَنَّ الْأُئِمَّةَ مِنْ آلِ الْبَيْتِ عليهم السلام قَدْ كَشَفُوا
الكثير من المسائل الكلامية في كثير من أحاديثهم
وخطبهم واحتجاجاتهم... من أمثال ما ورد
عن الإمام علي عليه السلام، مع معاوية والخوارج ومع
الانقلابيين والمرتدين وأضرابهم من المشككين
والحاقدين والمنافقين أيام السقيفة والشورى
والجمل وصفين^(١).

وقد برزت في عهد الخلافة العلوية
ظاهرة الآراء الفكرية والعقائدية والسياسية
وظهور الفرق لأول مرة كالخوارج والأزارقة
والحرورية، ومما يروى أن ابن الكواء سأل
الإمام علياً عليه السلام عن القدر فأجابه بقوله: بحر
عميق لا تلجه فأمهل، ثم سأل فقال: ستر الله
فلا تكشفه نقول بظاهر ما نرى ثم يقضي الله
تعالى بغيب ما يعلم^(٢).

كثيراً ما يقع الخلط عند الدارسين
بخصوص الحديث عن علم الكلام واعتباره
جزءاً لا يتجزأ من الفلسفة أو أنه أحد وجوهها،
لكن حقيقة التأمل والدراسة تدفع اللبس
والتوهم في بيان مدى العلاقة والارتباط بين
مواضيع الدراسة الفلسفية وبحوث علم
الكلام.

فمن جملة الأسباب استعانة المتكلمين في
بداية نشأة البحث الكلامي بالبراهين الفلسفية؛
وذلك لأن أساس الاختلاف بين المسلمين
عقائدياً هو تأثرهم الشديد بالأفكار الفلسفية
التي سرت إليهم من هذه الفلسفة اليونانية،
وجرى الشيعة على منهج السنة أحياناً في
أسلوب التقليد المنهجي، ووقعوا في المناقشات
الكلامية، واضطروا إلى أن يدرسوا ما خلفه
أهل السنة من نظريات كلامية على الرغم من
نهي الأئمة عليهم السلام.

(١) الدكتور محمود المظفر، علم الكلام: ٦٥.

(٢) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر:

ج ٢ ص ٩. وفيه (ابن الكواء هذا) قال عنه ابن دريد

أما في شأن مخاض التأسيس لعلم الكلام فنجد أن عيسى بن روضة الإمامي التابعي وحيد عصره في علم الكلام «وهو الذي فتق بابه وكشف نقابه» وله كتاب في الإمامة، وهناك رواية تشير إلى أن أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية كان إمام علم الكلام بالاتفاق وله حق التقدم على عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء. ومن مشاهير المتكلمين الأوائل قيس بن سعد بن عبادة وسليم بن قيس وكميل بن زياد وخالد بن عيسى بن العاص وصعصعة بن صوحان العبدي وميثم التمار وأويس القرني^(١)، ومحصلة كل ذلك «أن الأئمة عليهم السلام، سبقوا الناس إلى إعطاء الفكرة النهائية لجميع الموضوعات التي بحثها علم الكلام والفلسفة من قبل أن

في كتاب الاشتقاق: إنه «كان خارجياً كثيراً المسألة لعل بن أبي طالب وكان يسأله تعنتاً». (١) السيد حسن الصدر، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٣٥٠. الشيخ عبد الله المامقاني، تنقيح المقال المجلد الثاني باب عيسى. السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، الجزء الأول، محاضرات الشيخ محمد رضا المظفر في الفلسفة، مقال الدكتور محمود المظفر، علم الكلام: ٦٦ الذي يستعرض فيه مختلف النظريات المطروحة في نشأة علم الكلام ثم يخلص إلى أن لكل من الأقوال نصيباً من الصحة لوفرنا بين كل من النشوء، والنمو، والتكامل: ٧٧.

يظهرها عند المسلمين»^(٢).

ثم تبلورت أخيراً آراء ونظريات كلامية للشيعة الإمامية تجسّدت في الأعمال الفكرية لأعلام الطائفة كالشيخ المفيد والسيد المرتضى، وكان الشيخ الطوسي أعظم مصلح في حينه لعلم الكلام عند الشيعة؛ فقد صحّح ما عند الشيعة من روايب غير صحيحة.

وهكذا تباعد علم الكلام عن الفلسفة كثيراً لأنّه إنّما يسعى لتحصيل البرهان على العقيدة المفروضة الصدق والتسليم، والفلسفة تسعى لنيل العقيدة من طريق البرهان فصاحب علم الكلام يعتقد فيبرهن، والفيلسوف يبرهن ليعتقد.

ومن أجل هذه الحقيقة قيل: إن علم الكلام لم ينجح في التوفيق بين الدين والفلسفة في وقت الحاجة إلى التوفيق لاسيما أن النظريات الفلسفية التي أخذت في موضع الاعتبار عند المتكلمين يوم نشأ علمهم لتقرير براهينهم قد تبدّلت وتطوّرت وقد ظهر بعد حين خطأها لدى الباحثين وهذا هو السرّ في نهي أئمة أهل البيت عليهم السلام عن علم الكلام وتحذير الناس منه - ابتداءً - لاسيما أن الإمام الصادق عليه السلام قد نشأ في عصره هذا العلم، وكان كثيراً ما

(٢) المصدر السابق.

يحتاج المتكلمين بأسلوبهم^(١).

ومن هنا يتبين مستوى الوعي المبكر في المدرسة الإمامية^(٢) بتوجيه أئمتهم وانتباههم لهذه المسألة بما لها من انعكاسات على سلامة العقيدة الإسلامية من خلال التفرقة بين علم الكلام والفلسفة في نواحي عديدة، منها أن الكلام وضعه المسلمون للدفاع عن الدين، والفلسفة ليس لها طابع ديني ولا تسلك مسلكاً معيناً أو تتبع ديناً بخصوصه، وعلم الكلام إنما نشأ للدفاع عن العقيدة الإسلامية عندما هاجمتها الفلسفة اليونانية واستخدموا الأساليب البرهانية التي تستخدمها الفلسفة... فعلم الكلام علم مستقل لا علاقة له بالفلسفة.. وهدف الفلسفة معرفة حقائق الأشياء على

ما هي عليه بقدر الطاقة البشرية، وعلم الكلام هدفه تصحيح العقائد الإسلامية، ثم يستطرد المظفر بالتطرق إلى ما أنتجه التعارض من نشوء مذاهب ومدارس فكرية متناحرة نتج عنها ظهور فتن كثيرة سالت بها دماء ومصادرة للحريات، واختفت الفلسفة والفلاسفة وصارت تدرّس سرّاً ونشأ في الشيعة كثير من الفلاسفة خفية... إلى أن يقول: إن من مفاخر الإسلام ومعاجزه أنّه لم يكن منه شيء قطعي يناقض شيئاً قطعياً من الفلسفة، ولم يحتو القرآن على أي شكل من أشكال التناقض والتهافت على الرغم من مرور مئات السنين على صدوره قال تعالى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٣).

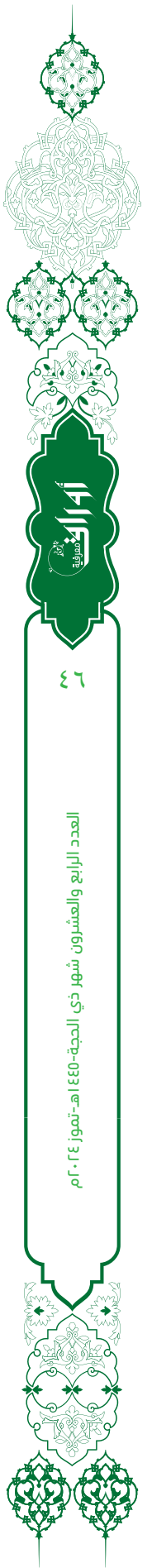
ولكنّا ندرس الفلسفة لردّ الشبهات ولالإقناع ولتوسيع أفق الذهن وزيادة المعلومات ولا نأخذ منها عقيدتنا، والفلسفة أبعد ما تكون عن العقيدة الصافية الخالصة الصحيحة.

ولا يجب أن نعتقد بالله على طريقة الفلاسفة؛ لأن الله لم يكلفنا بذلك بل العقيدة العامة تكفي عند الله، ولكنك لا تستطيع أن تفهم المصطلحات والبحوث الفلسفية دون أن يكون لك إلمام بالفلسفة،

(٣) النساء: الآية ٨٢.

(١) الشيخ المظفر في محاضراته الفلسفية: ص ٧٧ - ٨٠ ومقاله عن ابن سينا والعلاقة بين الدين والفلسفة، وقد حاولنا التوفيق بينهما في عباراته مع الحفاظ على طابع الفكرة العامة لنتائج البحث.

(٢) ومن أثر ذلك انتباه الأئمة عليهم السلام إلى الفتنة التي أثارها المعتزلة بشأن خلق القرآن، فقد ردّوا بما يحول دون وقوع الشيعة في تلك الفتنة وبيان كون القرآن حادثاً ومخلوقاً في الوقت نفسه باستعمال تعابير مثل (الله وحده الخالق وما عداه مخلوق، وما القرآن سوى كلام الله ويجب أن لا تطلق عليه الأسماء عواهنه) راجع الشيخ الصدوق كتاب التوحيد، مؤسسة النشر الإسلامي، طبعة قم: ٢٢٣ - ٢٢٥.



إن الذي لا عقيدة له ويريد أن يستند في عقيدته إلى مثل هذه الفلسفة فهو يضرب بحديد بارد»^(١).

ولا بد لمعرفة التفرقة بين علمي الفلسفة والكلام من التعرف على حقيقة نشوءهما وغايتيهما واتجاهاتهما وعلى جهود الفلاسفة المسلمين في مسيرة التقييم والتقويم والإضافة ثم الصياغة مجدداً لمدرسة فلسفية قد سبقت، وتأصيل معالمها^(٢) وهو ما تستلزمه موضوعية البحث العلمي الجاد في ضرورة دراسة كل منهما باستقلالية وحيادية من حيث النشأة والتطور والتكامل وحدود التداخل بينهما من حيث الموضوع، وآليات المنهج، وطبيعة الاستدلال والنتائج والآثار، وفك الارتباط المزعوم بينهما على رغم انفتاح المسلمين مبكراً على المباحث العقلية واعتبارها من الوسائط في إثبات العقيدة وترسيخها ورد دعاوى الزنادقة والمشكّكين.

ومن المهم إثبات حقيقة أن معرفة آراء الديانات السابقة وتطويعها في مجال فكري إسلامي يستتبع وجود مصطلحات خاصة

امتدت إلى علم الكلام الإسلامي وصارت جزءاً من تكوينه، ولا يستغرب ورود ألفاظ اصطلاحية أخرى كما هو الحال في كتاب نهج البلاغة.

وقد زخر عصر الأئمة المعصومين - بسبب تبني السلطات الحاكمة لوعاظ السلاطين وشيوع الأفكار الجديدة على المسلمين نتيجة الترجمة - بالعديد من الحوارات في الجانب العقائدي وإثارة المغالطات والشبهات من المشكّكين والزنادقة وطلّاب الجاه والفتنة لكن أهل البيت عليهم السلام كانوا بالمرصاد والتصدي لهذه الموجات الضالة بأنفسهم وبتربيتهم وتوجيه تلامذتهم لمجابهة هذه التيارات وقمعها بالنقاش الموضوعي وإيراد الحجج الدامغة.

[موسوعة العلامة الشيخ محمد رضا المظفر/ ج ٦]

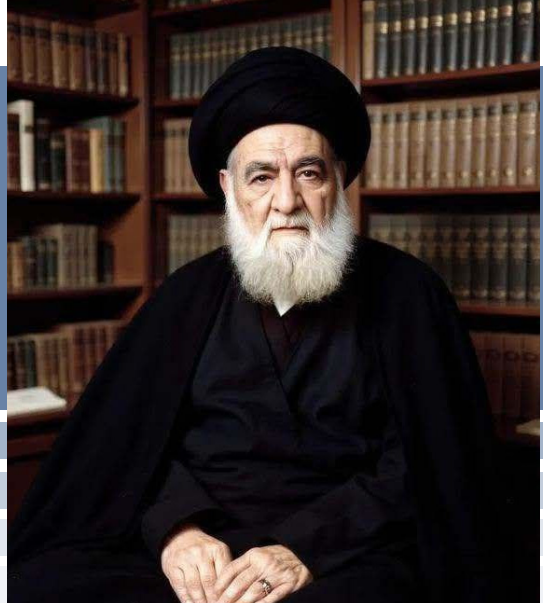
(١) الشيخ المظفر: محاضراته في الفلسفة الإسلامية المشار إليها سابقاً (بتصرّف).

(٢) وهو ما توصل إليه شيخنا المظفر في بحثه القيم السابق الذكر عن الفيلسوف الكندي والإشادة بجهده الفلسفي.

اولاد علمية

أحكام الكافر المقاتل

زعيم الطائفة السيد أبو القاسم الخوئي



من غير فرق في ذلك بين المشرك وغيره
من فرق الكفار، وقد ادعي الإجماع على
ما ذكرناه من الاحكام، والمخالف فيها
شاذ لا يعبأ بخلافه.

وهذا الذي ذكره يوافق ظاهر الآية
الكريمة من جميع الجهات إذا كان شد
الوثاق هو الاسترقاق، باعتبار أن معنى
شد الوثاق هو عزله عن الاستقلال ما
لم يمنَّ عليه أو يفاد، وأما إذا لم يكن
شد الوثاق بمعنى الاسترقاق، فلا بد
من إضافة الاسترقاق إلى المفادة والمنَّ
للعلم بجوازه من أدلة أخرى، فيكون
ذلك تقييداً لإطلاق الآية بالدليل.

المعروف بين الشيعة الإمامية أنَّ
الكافر المقاتل يجب قتله ما لم يسلم،
ولا يسقط قتله بالأسر قبل أن يثخن
المسلمون الكافرين، ويعجز الكافرون
عن القتال لكثرة القتل فيهم، وإذا أسلم
ارتفع موضوع القتل، وهو الكافر،
وأما الأسر بعد الإثخان فيسقط فيه
القتل، فإن الآية قد جعلت الإثخان
غاية لوجوب ضرب الرقاب.

ومن الواضح: أن الحكم يسقط
عند حصول غايته، ويتخير ولي الأمر
في تلك الحال بين استرقاق الأسير،
وبين مفاداته، والمنَّ عليه من غير فداء،

وقد وردت الأحكام المذكورة فيما رواه الكليني، والشيخ الطوسي بإسنادهما عن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعتَه يقول كان أبي يقول: إن للحرب حكَمين: إذا كانت الحرب قائمة لم تضع أوزارها، ولم يثخن أهلها، فكل أسير أخذ في تلك الحال فإن الامام فيه بالخيار إن شاء ضرب عنقه، وإن شاء قطع يده ورجله من خلاف بغير حسم، وتركه يتشطح في دمه حتى يموت وهو قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

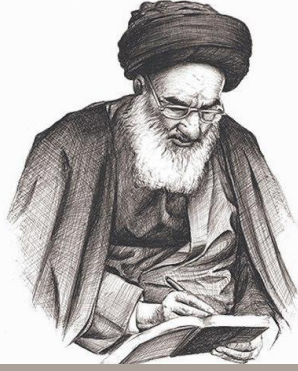
ألا ترى أنه التخيير الذي خير الله الإمام على شيء واحد وهو

(١) سورة المائدة: الآية ٣٣.

الكفر وليس هو على أشياء مختلفة فقلت لجعفر بن محمد عليه السلام قول الله تعالى: ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾، قال: ذلك الطلب أن يطلبه الخيل حتى يهرب، فإن أخذته الخيل حكم ببعض الأحكام التي وضعت ذلك، والحكم الآخر إذا وضعت الحرب أوزارها وأثخن أهلها، فكل أسير أخذ على تلك الحال وكان في أيديهم فالإمام فيه بالخيار، إن شاء الله من عليهم فأرسلهم، وإن شاء فاداهم أنفسهم، وإن شاء استعبدهم فصاروا عبيداً^(٢).

[البيان في تفسير القرآن]

(٢) الوافي: ج ٩، ص ٢٣.



حديث هدم الحائط

تقرير محاضرات آية الله العظمى
السيد علي الحسيني السيستاني
دام ظله

المغربي المتوفى سنة ٣٦٣ هـ، وكان من علماء الإسماعيلية، خدم المهدي بالله مؤسس الدولة الفاطمية في السنوات التسع الأخيرة من حكمه، ثم تولى القضاء لهم حتى أصبح قاضي القضاة في الدولة، وقد ذكر أن كتابه الدعائم هذا كان هو القانون الرسمي ودستور الدولة منذ عهد المعز - رابع الخلفاء الفاطميين - حتى نهاية الدولة الفاطمية، وربما توهم بعضهم أن القاضي نعمان من رجال الشيعة الإمامية استنادا إلى شبهات ضعيفة أجبننا عنها في محله.

ويلاحظ أن أحاديث الكتاب كلها مراسيل، بل لم يذكر فيه أسامي رواتها من الطبقة الأولى غالبا، وقد تداول النقل عن هذا الكتاب في كتب متأخري المتأخرين من فقهاءنا كالجواهر وغيره، وهو أحد مصادر كتاب المستدرک للمحدث النوري رحمته الله.

وقد أورده القاضي نعمان المصري في دعائم الإسلام قائلا: «روينا عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن جدار الرجل - وهو سترة بينه وبين جاره - سقط فامتنع من بنيانه، قال: ليس يجبر على ذلك إلا أن يكون وجب ذلك لصاحب الدار الأخرى لحق أو شرط في أصل الملك، ولكن يقال لصاحب المنزل: استر على نفسك في حقلك إن شئت، قيل له: فإن كان الجدار لم يسقط ولكنه هدمه أو أراد هدمه إضرارًا بجاره لغير حاجته إلى هدمه، قال: لا يترك وذلك إن رسول الله ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار» (إضرار - خ ل)، وإن هدمه كلف أن يبنيه».

والكلام فيه يقع في جهات:

الجهة الأولى في مصدره: وهو - كما ذكرنا - كتاب دعائم الإسلام للقاضي نعمان بن محمد بن منصور بن حيون التميمي

وأما مراجع الكتاب ومصادره: فالذي يظهر بمراجعة ما ورد فيه من الأحاديث، ومقايسته مع مصادر الحديث عند الشيعة الإمامية، أنه كان يرجع إلى كتبهم ويعتمدها في نقل الروايات، فإن جملة مما تضمنه من الأخبار مما لا اشكال في أنه أخذها من مصادره، حتى إنه اشتبه في بعض المواضع فنقل رواية عن أبي جعفر (عليه السلام) ظنا منه أنه الباقر (عليه السلام) بينما هو الجواد (عليه السلام)، فظن المحدث النوري وآخرون أنه تعمد الابهام وجعلوا ذلك من أمارات كونه أماميا.

والظاهر أن الذي دعاه إلى الاعتماد على مصادر الإمامية في تأليف كتابه هو أن الإسماعيلية منذ تكونهم في زمن الصادق والكاظم (عليهما السلام)، لم يكن من مسلكهم نقل الأحاديث والاهتمام بضبطها وإنما كانت غاية اهتمامهم بالجوانب السياسية والاجتماعية للإمامة.

ولما وفقوا لتشكيل دولتهم في المغرب واستولوا على مصر وبنوا القاهرة وأسسوا الجامع الأزهر، احتاجوا إلى الفقه والحضارة والقانون، فاضطر عالمهم المبرز آنذاك القاضي نعمان إلى تأليف كتاب الدعائم، والاعتماد فيه على مصادر الآخرين، لما لم يكن لسلفهم كتب في هذا المضمار.

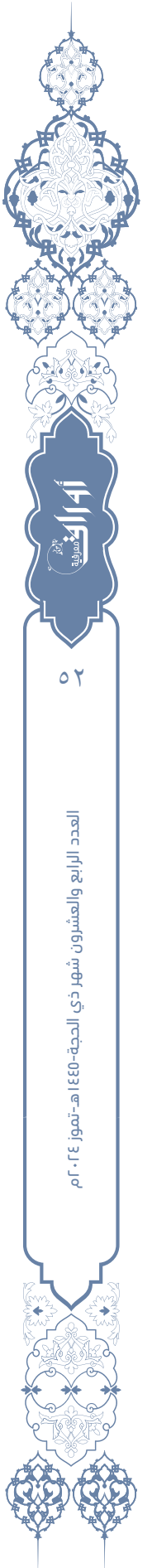
ويمكن معرفة بعض مصادره من

كتب الإمامية بمقارنته معها أو مع ما نقل من رواياتها، ومنها كتاب الجعفریات فإن ما ورد فيه من الأخبار يطابق في موارد كثيرة متون الأخبار الواردة في الدعائم - كما تنبه لذلك المحدث النوري (رحمته الله) - وكتاب الجعفریات لإسماعيل بن موسى بن جعفر، قال الشيخ والنجاشي: (سكن مصر وولده بها وله كتب يروى عنها عن أبيه عن آبائه). وقد روى الجعفریات إسماعيل بن موسى ورواه عنه محمد بن محمد ابن الأشعث - وكان ساكنا بمصر أيضا - فهذا الكتاب كان موجودا في مصر مقر الإسماعيلية آنذاك.

وعلى أي تقدير فالمقصود: أن روايات كتاب الدعائم منقولة غالباً عن مصادر الشيعة الإمامية رغم أن مؤلفه ليس منهم، ولذلك كانت أقرب إلى الاعتبار من روايات العامة؛ لأنها نفس رواياتنا نقلت إلينا بغير طريقنا فتدبر.

الجهة الثانية في سنده: وهو كما علم مما سبق ضعيف من جهتين: من جهة الارسال، ومن جهة عدم وثاقة مؤلف الدعائم عندنا.

الجهة الثالثة في مفاده: ولا إشكال فيما تضمنه صدره من عدم وجوب إعادة بناء الجدار على صاحب الدار إذا لم يكن للجار حق فيه فإنه على وفق القاعدة، وإنما الاشكال



فيما تضمنه الذيل من منعه من هدم جداره وأمره ببنائه لو هدمه إضراراً بجاره، فإنه قد يقال إن ذلك مخالف للقواعد والأصول المسلمة، لأن الظاهر أن مورد الحديث الجدار الذي يكون مملوكاً للشخص ملكاً طلقاً من دون أن يكون متعلقاً لحق الجار بوجه من الوجوه، ومقتضى القاعدة في مثل ذلك أن يكون للمالك حق هدمه، وأن لا يجب عليه إعادة بنائه على تقدير هدمه، وإن كان ذلك سبباً لوقوع الجار في الحرج والضيق من جهة فقدان الساتر لبيته، ومجرد كون هدمه لا حاجة عقلائية بل بداعي إيقاع الجار في الضيق لا يقتضي منعه من الهدم، وأمره بالبناء على تقدير مخالفته، وعليه فتطبيق قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) على مورد الحديث محل إشكال.

ولكن يمكن الجواب عن ذلك بوجهين:

الوجه الأول: أنه لا غرابة في الحكم بمنع المالك من هدم جداره وأمره بإعادة بنائه لو فعل عقوبة على مخالفته، إذا لم يكن له في الهدم غرض عقلائي بل كان غرضه مجرد الإضرار بجاره، فإن لهذا الحكم نظائر في الفقه الإسلامي، ومنها ما التزم به جمع من الفقهاء منهم الشيخ في النهاية والقاضي وابن البراج، من أنه إذا أعتق أحد الشركاء

نصيبه من العبد قاصداً به الإضرار بشريكه، وجب عليه فكُّه إن كان موسراً وبطل عتقه إن كان معسراً، لأن قصد القرابة انعتق سهمه وسعى العبد في نصيب الشريك، ولم يجب على المعتق فكُّه بل يستحب له ذلك، وقد اعتبر في الجواهر هذا القول أحد القولين القويين في المسألة.

ويدل عليه من الأخبار صحيح الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت عن المملوك بين الشركاء فيعتق أحدهم نصيبه؟ فقال: إنَّ ذلك فساد على أصحابه، فلا يستطيعون بيعه ولا مؤاجرته وقال يقوم قيمته فيجعل على الذي أعتقه عقوبة، وإنَّما جعل ذلك مما أفسده. وفي صحيحة محمد بن مسلم قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجل ورث غلاماً وله فيه شركاء فاعتق لوجه الله نصيبه، فقال: «إذا أعتق نصيبه مضارة وهو موسر ضمن للورثة، وإذا أعتق لوجه الله كان الغلام قد أعتق من حصّة من أعتق، ويستعملونه على قدر ما أعتق منه له ولهم، فإن كان نصفه عمل لهم يوماً وله يوماً، وإن أعتق الشريك مضاراً وهو معسر فلا عتق له، لأنَّه أراد أن يفسد على القوم فترجع إلى القوم حصصهم».

فيستفاد من هاتين الروايتين وغيرهما أنَّ العتق لو كان مقروناً بقصد الإضرار

بالشريك، استتبع ذلك التشديد على المعتق
إمّا بإبطال عتقه رأساً أو بتضمينه حصة
الشريك.

فيمكن الالتزام بنظير ذلك في المقام
أيضاً - كما التزم به بعض فقهاء العامة -
بأن يقال: أنّه لا يجوز للجار أن يتصرّف
في ملكه بما يكون لمجرد الإضرار بجاره لا
لغرض عقلائي، ولو فعل ذلك أجبر على
تدارك الضرر الحاصل عقوبة على عمله.
وهذا الحكم يصح أن يكون حكماً أولياً
على أساس أن من حق المسلم على المسلم
أو الجار على الجار أن لا يضرّ به متعمداً
وإن كان ذلك بالتصرّف في ملك نفسه،
كما يصح أن يكون حكماً ولائياً اقتضته
المصلحة الملزمة التي رآها الإمام (عليه السلام) في
أمثال هذه الموارد.

الوجه الثاني: أنّه يمكن أن يفترض أن
مورد كلام الإمام (عليه السلام) في ذيل الحديث هو
ما إذا كان الجدار مورداً لحق الجار، وبذلك
يتجه النهي عن الهدم والأمر ببنائه على
تقدير المخالفة، كما يتجه تعليل النهي بـ (لا
ضرر ولا ضرار) لأن في هدم الجدار حيثنّذ
إضراراً بالجار لاستلزامه سلب حقه.

ومبرر هذا الافتراض أنّ السائل فرض
كون الهدم إضراراً بالجار، وهذا ظاهر فيما
إذا كان للجار حق بالنسبة إلى الجدار - لكي

يصدق الإضرار به عرفاً -، ولا يشمل ما إذا
لم يكن له حق فيه، وإنّما كان هدمه مستلزماً
لعدم انتفاعه بجدار الغير، وأما قول السائل
(لغير حاجة منه إلى هدمه) فلا يدل على
عدم كون الجدار متعلقاً لحق الغير، بل لعل
المراد به إخراج صورة تعارض الضررين،
حيث يكون صاحب الجدار محتاجاً إلى
هدمه لكونه أهلاً للسقوط أو موجباً لضيق
داره مثلاً مع كونه متعلقاً لحق الجار.

وهذا الوجه في توجيه الرواية يظهر
من كلام لصاحب الجواهر في كتاب الصلح
ذكره تأييداً لكلام نقله عن المحقّق الكركي
في جامع المقاصد.

[قاعدة لا ضرر ولا ضرار]

وقد ورد عن أبي جعفر عليه السلام: قال: «بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس في المسجد إذ دخل رجل فقام يصلي فلم يتم ركوعه وسجوده، فقال صلى الله عليه وآله: نقر كنقر الغراب لئن مات هذا وهكذا صلاته، ليموتن على غير ديني».

فعلى هذا ينبغي التحرز عن الاستعجال في الصلاة، وأن يكون في الصلاة ذكراً لله خاضعاً خاشعاً وقرأً، وملتفتاً إلى من يتكلم معه، وأن يرى نفسه ذليلاً حقيراً أمام عظمة الله تعالى، وإذا التفت المصلي إلى ذلك حق الالتفات ذهل عن نفسه، كما حصل هذا لأمر المؤمنين عليهم السلام إذ أخرجوا سهماً من قدمه الشريف من دون أن يلتفت إلى ذلك.

وكذلك ينبغي للمصلي التوبة والاستغفار، وأن يتجنب الذنوب التي تمنع قبول الصلاة، مثل: الحسد والكبر والغيبة وأكل الحرام وشرب المسكرات وترك أداء الخمس والزكاة، بل وكل معصية.

كذلك ينبغي ترك ما يوجب نقصان ثواب الصلاة، كالصلاة مع النعاس وحبس البول والنظر إلى السماء في أثناء الصلاة. وينبغي إتيان ما يوجب زيادة الثواب، كالتختم بالعقيق اليمني ولُبس الثوب النظيف، واستعمال السواك والمشط والعطور.



أهمية الصلاة

المراجع الديني السيد موسى شبيري الزنجاني
أفضل الفرائض - بعد المعرفة - الصلاة^(١)،
و«الصلاة عمود الدين»^(٢)، «فإذا قبلت قبل سائر عمله وإذا ردّت ردّ سائر عمله»^(٣)، و«إنّها مثل هذه الصلوات الخمس، مثل نهر جار يغتسل منه في اليوم خمس اغتسلات، فكما ينقى بدن الإنسان من الدرن بتواتر الغسل فكذا ينقى من الذنوب مع مداومته الصلاة، فلا يبقى من ذنوبه شيء»^(٤).

وينبغي للإنسان أن يأتي بالصلاة في أول وقتها، ومن استخف بالصلاة، فهو كالتارك لها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليس مني من استخف بالصلاة لا يرد عليّ الحوض لا والله».

(١) هذا المضمون ورد في أحاديث كثيرة كما في جامع أحاديث الشيعة (باب ١ من أبواب فضل الصلاة، ج ١).

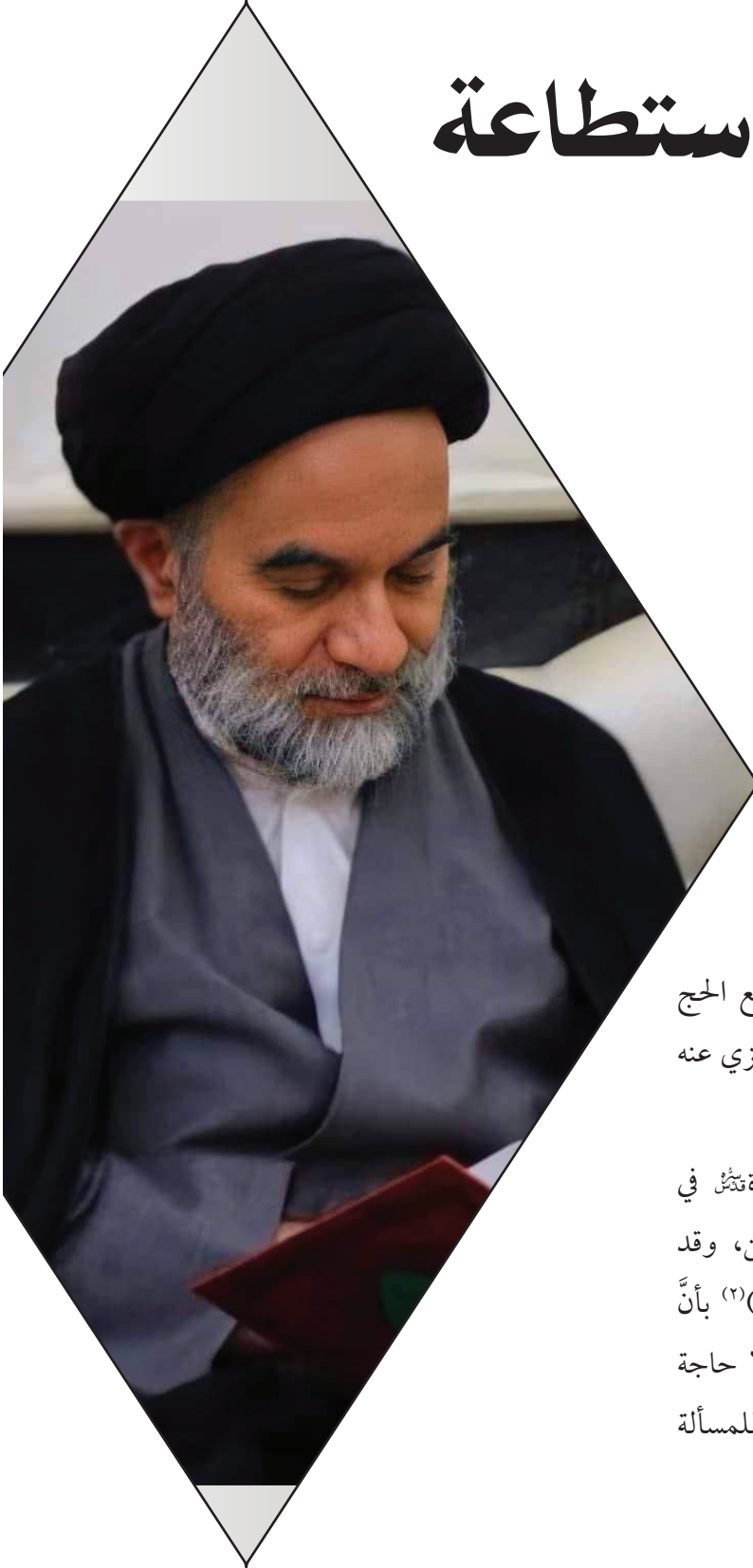
(٢) جامع أحاديث الشيعة: ج ٤، ص ٣٤.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

وجوب الاستطاعة في الحج

السيد محمّد رضا السيستاني

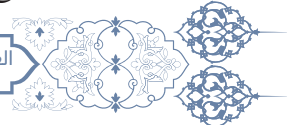


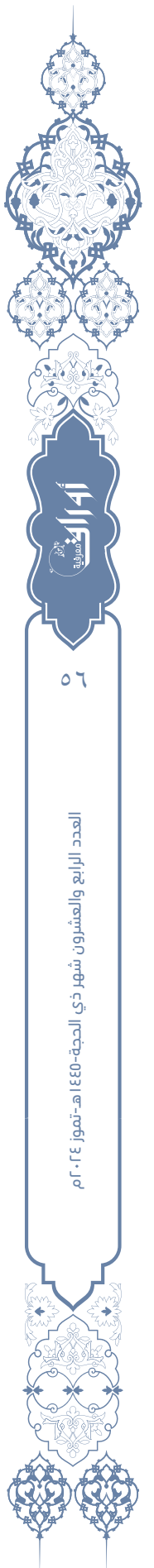
(مسألة ٦٢): يجب على المستطيع الحج بنفسه إذا كان متمكناً من ذلك، ولا يجزي عنه حج غيره تبرعاً أو بإجارة.

قد ذكر السيد صاحب العروة تت في (المسألة ٧١) ^(١) مثل ما ورد في المتن، وقد علّق عليه السيد الأستاذ (طاب ثراه) ^(٢) بأنّ «هذه المسألة من الواضحات التي لا حاجة إلى ذكرها، ولعله تت ذكرها تمهيداً للمسألة

(١) العروة الوثقى: ج ٤ ص ٤٣٤.

(٢) معتمد العروة الوثقى: ج ١ ص ٢٣٥.





الآتية» أي: المتعلقة بوجوب الاستنابة على المعذور من المباشرة، وهذا التعليق يجري على ما ذكره **تت** بنفسه هنا. وكيفما كان فمن القطعيات الفقهية - التي لم يخالف فيها أحد - أن المستطيع المتمكن من أداء الحج بنفسه يجب عليه أدائه مباشرة، ولا تجوز له الاستنابة فيه اختياراً. وقد دل على ذلك كثير من النصوص... كمعتبرة ذريح المحاربي^(١) عن أبي عبد الله **عليه السلام** قال: «من مات ولم يحج حجة الإسلام، لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به، أو مرض لا يطيق فيه الحج، أو سلطان يمنعه، فليمت يهودياً أو نصرانياً». فإن ذكر المرض ومنع السلطان شاهد على كون حجة الإسلام من الواجبات التي تعتبر فيها المباشرة، إذ لولا ذلك لم يكن أي من الأمرين عذراً في ترك أداء حجة الإسلام. وبذلك يظهر وجه الاستدلال بمعتبرة أبي بصير^(٢) قال سمعت أبا عبد الله **عليه السلام** يقول: «من مات وهو صحيح موسر لم يحج، فهو ممن قال الله عز وجل: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾» وصحيحة معاوية بن عمار^(٣) عن أبي عبد

الله **عليه السلام** قال: «قال الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾». قال: هذه لمن كان عنده مال وصحة». فإن ذكر الصحة في الرويتين دليل على اعتبار المباشرة في أداء حجة الإسلام وإلا لما أنيط وجوبها بصحة المكلف أي عدم إصابته بمرض يعيقه عن أدائها. وفي صحيحة زرارة^(٤) عن أبي جعفر **عليه السلام** قال: سألته عن امرأة لها زوج، وهي ضرورة، ولا يأذن لها في الحج. قال: «تحتج وإن لم يأذن لها». وفيها أيضاً دلالة على اعتبار المباشرة في أداء حجة الإسلام إذ لولا ذلك لما أفتى الإمام **عليه السلام** للمرأة بالخروج للحج بلا إذن زوجها، بل لأمرها بالاستنابة ولا أقل عند عدم إذنه لها بذلك. وفي صحيحة الحلبي^(٥) عن أبي عبد الله **عليه السلام** قال: «إن كان رجل موسر حال بينه وبين الحج مرض أو أمر يعذره الله تعالى فيه، فإن عليه أن يحج عنه من ماله ضرورة لا مال له».

وهذه الرواية - على تقدير تعلقها بالحلي دون الميت كما فهمه الأعلام (رضوان الله عليهم) - واضحة الدلالة أيضاً على اعتبار المباشرة في أداء الحج مع

(١) الكافي: ج ٤ ص ٢٦٨، ٢٦٩ من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٧٣. تهذيب الأحكام: ج ١ ص ١٧.

(٢) العروة الوثقى: ج ١ ص ٤٣٤.

(٣) تهذيب الأحكام: ج ٥ ص ١٨.

(٤) الكافي: ج ٤ ص ٢٨٢، من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٦٨.

(٥) الكافي: ج ٤ ص ٢٧٣، من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٦٠.

التمكن منها. وهناك روايات أخرى تدل على المعنى المذكور لا حاجة إلى ذكرها، فالمسألة محسومة فقهيًا ولا إشكال فيها فتوى ونصاً. ولكن ينبغي هنا البحث عما تعرّض له المحقق النائيني (رضوان الله عليه) ومن تأخر عنه في مبحث التعبدية والتوصلي من بيان مقتضى القاعدة عند الشك في كون التكليف مما يسقط بفعل الغير أو لا. وهذا البحث وإن كان محله في علم الأصول، ولكنه لا يخلو عن فائدة في ما يتعلق بالمباحث الآتية فأقول:

قد حكى السيد صاحب العروة ^(١) كلاماً عن بعضهم قال فيه: «إنَّه إذا شك في كون الفعل مما تصح فيه النيابة أو لا، فالأصل صحة النيابة، ولذا استقر بناء الفقهاء على طلب الدليل على عدم الصحة واعتبار المباشرة في موارد الشك، وذلك لأن الأصل عدم اشتراط المباشرة وإن كان الفعل مطلوباً من ذلك الشخص، إذ كونه مورداً أعم من اشتراط المباشرة».

ثم ناقش ^(٢) فيه: «بأن أصالة عدم اشتراط المباشرة لا تنفع إلّا بعد وجود عموم بدل على الصحة وليس - أي وهو غير موجود - ولا يمكن إثباتها بالأصل».

(١) العروة الوثقى: ج ١ ص ٢٠٠، ٢٠١٠ (بتصرف).

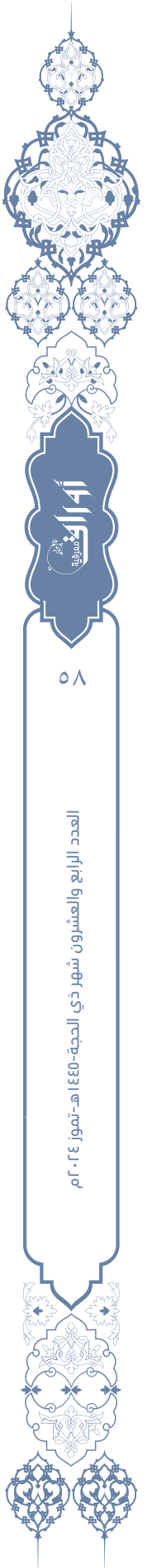
وحيث فلا بد من الرجوع إلى أصالة عدم ترتب الأثر على فعل الغير».

أقول: إن الشك في سقوط التكليف بفعل الغير يكون على أنحاء ...

النحو الأول: الشك في كون موضوع ذلك التكليف مما ينتفي بفعل الغير أو لا.

مثلاً: يجب على المدين أداء دينه، والدين بما أنّه متعلق للأداء - أي متعلق لمتعلق الوجوب - يعد موضوعاً للوجوب، ولكنه مما يمكن للغير التبرع به عن المدين ولو من دون إذنه، بل ولا علمه. وعندئذ يسقط عن المدين وجوب أدائه من باب انتفاء الحكم بانتفاء موضوعه، وهذا واضح في هذا المورد.

فإذا شك في كون الكفارة المالية - كإطعام ستين مسكيناً في إفطار يوم من شهر رمضان متعمداً - بحكم الدين، أي: أنّه يمكن التبرع بها عن الحي أيضاً أو لا يكون مرجع الشك في ذلك إلى الشك في بقاء وجوب الكفارة بعد تبرع الغير بأدائها من دون طلب المكلف من باب الشك في بقاء الحكم من جهة الشك في بقاء الموضوع، وكون فعل الغير موجباً لانتفائه أو لا؟ ولا يوجد أصل لفظي في مثل هذا النحو من الشك يقتضي عدم سقوط التكليف بفعل الغير، خلافاً للمحقق النائيني نقل



في رسالته الشريفة في التعبد والتوصلي، حيث يظهر منه أن اشتراط الحكم بوجود موضوعه حدوثاً أمراً، واشتراطه ببقاء موضوعه وعدم ارتفاعه بفعل الغير أمر آخر، فإذا شك في الثاني فمقتضى الإطلاق عدمه.

قال رحمته^(١): «إِنَّ قضية اشتراط كل حكم بوجود موضوعه على حسب ما أخذ موضوعاً له، إنما هو اشتراط التكليف بمثل إزالة النجاسة أو أداء الدين ونحو ذلك مما يصلح موضوعه لأن يرتفع بفعل الغير - مثلاً - بعدم ارتفاعه به وهذا شرط آخر في ناحية البقاء، زائداً على أصل الحدوث. فبهذا الاعتبار يكون السقوط بفعل الغير منافياً لإطلاق الخطاب في مقابل اشتراطه بقاء بعدم قيام الغير به».

ولكن ما أفاده (رضوان الله عليه) مما لا يمكن المساعدة عليه، بل الحكم مشروط بوجود موضوعه حدوثاً وبقاءً باعتبار واحد، وحيث فرض كون الشك في المقام من جهة الشك في كون فعل الغير موجباً لانتفاء الموضوع وعدمه، فلا محل للتمسك بالإطلاق، إذ لا شك في شرط زائد للهيئة حتى ينفي بالإطلاق.

(١) رسالة في التعبد والتوصلي: ص ٣ (مخطوط).

وأما القول بأن اشتراط الحكم بوجود موضوعه أمر، واشتراطه بعدم قيام الغير بها يوجب ارتفاعه به أمر آخر، فإذا شك في الثاني يمكن التمسك بإطلاق الهيئة، فهو مردود؛ لأنه مع كون الحكم مشروطاً بوجود موضوعه حدوثاً وبقاءً لا يبقى محل للإطلاق والتقيد للناظرين من جهة كون فعل الغير موجباً لارتفاعه وعدمه؛ لأنه كلما قيد الحكم بالملزوم ينتفي محل الإطلاق والتقيد بالنسبة إلى اللازم.

فإذا وجب - مثلاً - الذبح مستقبلاً للقبلة، ولوحظ أن استقبالتها مستلزم لاستدبار الجدي في مثل العراق، فلا محل لتقيد وجوب الذبح فيه باستدبار الجدي؛ لأنه لغو، كما أنه لا مجال لإطلاقه بالنسبة إلى حصوله وعدمه كما هو واضح.

وفي المقام حيث إن كل حكم مشروط بوجود موضوعه حدوثاً وبقاءً، فلو فرض كون فعل الغير موجباً لارتفاع موضوعه، فلا مجال لتقييده بعدم قيام الغير بذلك الفعل؛ لأنه لغو، كما لا يصح أن يكون مطلقاً بالنسبة إلى قيامه به وعدمه. والجامع أنه لا محل للإطلاق والتقيد للناظرين بالنسبة إلى اللازم، بعدما فرض من التقيد بالملزوم.

والنتيجة أنه لا يوجد إطلاق لفظي

يقتضي عدم سقوط التكليف بفعل الغير في هذا النحو. نعم مقتضى الأصل العملي - وهو الاستصحاب - بقاء الموضوع عند الشك في ارتفاعه وزواله بفعل الغير، فهو المرجع عند الشك.

النحو الثاني: الشك في كون التكليف - أي: الهيئة - مشروطاً بعدم قيام الغير بأداء متعلقه إما نيابة عن المكلف أو مطلقاً، كما إذا شك في أن وجوب تغسيل الميت المتوجه إلى وليه هل هو مشروط بعدم قيام الغير بالتغسيل ولو من دون إذنه فلو قام به يسقط عنه، أو أنه ليس مشروطاً به فلا بد أن يغسل الولي ميتته وإن قام به الغير من دون إذنه؟

والفرق بين هذا النحو والنحو السابق واضح، فإن الشك في النحو الأول إنما هو من جهة الشك في بقاء الموضوع واحتمال أن يكون فعل الغير موجبا لزواله، وأما الشك في هذا النحو الثاني فهو لتطرق احتمال أن يكون الوجوب مقيداً بقيد زائد غير بقاء موضوعه وهو عدم صدور الفعل من الغير بالرغم من عدم كونه موجباً لانتفاء موضوعه، فإنه يمكن تغسيل الميت ثانياً، وليس هو كأداء الدين الذي لا يقبل التكرار.

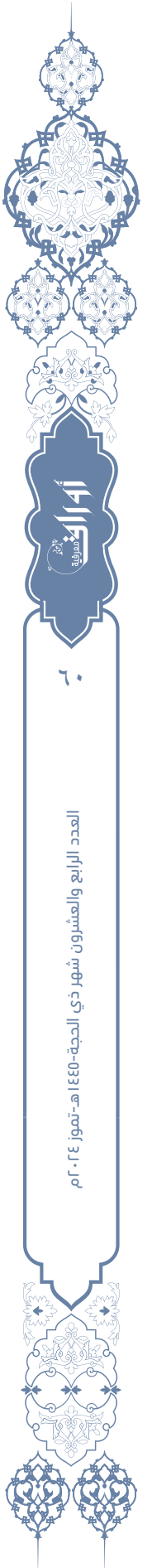
وبذلك يظهر أن مقتضى الأصل

اللفظي - وهو الإطلاق - هنا عدم سقوط التكليف بفعل الغير، أي: عدم كونه مشروطاً بعدم قيام الغير بذلك الفعل، وهو ظاهر.

وأما الأصل العملي فقد ذكر السيد الأستاذ^(١) أن مقتضاه الاشتغال لإحراز فعالية التكليف بتحقيق جميع ما يعتبر فيها، وإنما الشك في ارتفاعه من جهة ارتفاع ما يحتمل. شرطيته فيه بعد أن كان متحققاً في البداية. ومن الواضح أن هذا مورد قاعدة الاشتغال - الاشتغال اليقيني يقتضي البراءة اليقينية - وأما البراءة فإنما يرجع إليها فيما إذا لم يكن ما يحتمل شرطيته في التكليف متحققاً في البداية، ففي مثل ذلك يرجع الشك في شرطيته إلى الشك في أصل توجه التكليف، فتجري أصالة البراءة. وأما مع تحقق ما يحتمل شرطيته ابتداء فالتكليف الفعلي محرز، فلا بد من الخروج عن عهده بمقتضى قاعدة الاشتغال.

ولكن ما أفاده (رضوان الله عليه) غير واضح، فإن مورد قاعدة الاشتغال ما إذا كان التكليف معلوماً بحدوده، سواء ما يتعلق بحدود المتعلق أو ما يتعلق بحدود الموضوع. وأما مع الشك في حدود المتعلق كما في موارد الأقل والأكثر، أو في حدود

(١) محاضرات في أصول الفقه: ج ٢ ص ١٤٥.



الموضوع كما في المقام - فإن قيود الهيئة ترجع إلى الموضوع، فإذا شك في كون أمر قيدا للهيئة فهو شك في حدود الموضوع - فالمورد مجرى الأصالة البراءة.

وبعبارة أخرى: إذا كان الشك يرتبط بمقام الجعل فهو مورد للبراءة، وأما مع وضوح ما يتعلق بالجعل وعدم الإبهام فيه وكون الشك في مقام الامتثال محضا فهو مجرى قاعدة الاشتغال.

والمقام من قبيل الأول، فإن الشك إنَّما هو في كون الحكم مشروطاً في مرحلة الجعل بعدم إتيان الغير بالفعل أو لا، فهو مورد للبراءة.

وتوضيح الحال: أنَّه لا قصور في أدلة البراءة عن الشمول لأمثال المقام مما يكون الشك في مقام الامتثال ناتجاً عن الشك في سعة الجعل وضيقه، حتى في مورد اليقين بتحقيق موضوع الحكم ابتداءً والشك في انتفائه لاحقاً من جهة الشك في تقييد الوجوب بعدم قيام الغير بالفعل؛ لأن كل ما يتعلق بمقام الجعل هو من حدود اختيار الشارع، بخلاف ما يتعلق بمرحلة الامتثال محضاً، فإن الحاكم فيها بالاستقلال هو العقل، ويمتنع تدخل الشارع فيها بما هو شارع.

فإذا كان الشك في ما يتعلق بمرحلة

الجعل من تقييد زائد ونحوه فلا مانع من التمسك بدليل البراءة، فإن المناط في جريانها - وحسب التعبير المنقول عن بعض الأعاظم (رضوان الله عليهم)^(١) هو أن يكون الشيء مجعولاً ومجهولاً وفي رفعه منة، والمقام كذلك ومجرد القطع بتحقيق الموضوع ابتداءً وصيرورة الحكم فعلياً لا يمنع من الرجوع إلى البراءة مع الشك في سقوط التكليف، من جهة أخذ قيد فيه في مرحلة الجعل يقتضي ذلك بأن كان مقيداً بعدم قيام الغير بذلك الفعل.

وبعبارة أخرى إن الوجه في عدم صحة الرجوع إلى البراءة عند الشك في الامتثال ليس سوى خروج ذلك عن دائرة الجعل الشرعي، فما لم يكن أمر جعله ووضع بيد الشارع بما هو شارع فأمر رفعه ليس بيده أيضاً. وأما إذا كان الشك في الامتثال راجعاً إلى الشك في سعة الجعل وضيقه، فليس في دليل البراءة قصور عن الشمول لمثل ذلك.

والحاصل أنَّه لا مانع من الرجوع إلى البراءة في أمثال المقام في حد ذاته.. نعم لا تصل النوبة إليها في محل البحث، لإمكان إجراء استصحاب بقاء التكليف، بناء على ما هو الصحيح من جريانه في الأحكام

(١) نتائج الأفكار في الأصول: ج ٤ ص ٧٠-

الكلية، خلافاً للسيد الأستاذ تقي الدين.

ولكن ناقش بعض الأعلام تقي الدين^(١) في جريانه في المقام، من جهة أن الحكم مردد بين أن يكون مطلقاً بالنسبة إلى صدور العمل من الغير، وكونه مشروطاً بعدم صدور العمل من الغير. فالمكلف يقطع بتوجه الحكم إليه ولكن حيث إنه مردد بين أن يكون مطلقاً حتى يكون مقطوع البقاء بعد إتيان الغير بالفعل، وبين أن يكون مشروطاً حتى يكون مقطوع الارتفاع بعد إتيان الغير بالفعل، فالأمر دائر بينهما، فلا يمكن إجراء الاستصحاب لإثبات الوجوب المطلق؛ لأن الأثر مترتب عليه، لا على طبيعي الوجوب.

وما ذكره تقي الدين ليس بتمام؛ لأن الأثر في المقام وهو لزوم الامتثال عقلاً مترتب على طبيعي الوجوب أي: الجامع بين المطلق والمشروط لا على الوجوب بوصف كونه مطلقاً، ليمنع ذلك من جريان الاستصحاب فيه. أي: إن المقام من موارد القسم الثاني من أقسام استصحاب الكلي حيث يكون الأثر للكلي نفسه لا للفرد الطويل. فلا يقصد بإجراء استصحاب الكلي إثبات الفرد الطويل بالخصوص، حتى يقال إنه لا يثبت. والحاصل أنه لا مانع من جريان

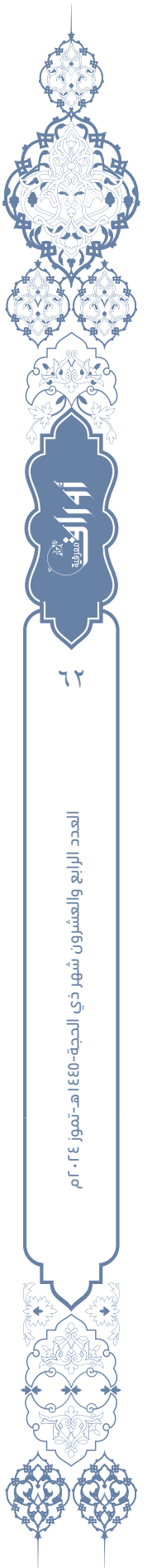
(١) منتهى الأصول: ج ١ ص ١٥٣.

الاستصحاب في المقام، ومعه لا تصل النوبة إلى البراءة.

نعم هذا في غير حالتين ..

الحالة الأولى: صدور الفعل من الغير قبل زمان توجه التكليف إلى هذا، كما إذا بلغ الولي بعد تحنيط الغير للميت مع عدم انقضاء زمان التدارك. فإن الشك هنا في أصل توجه التكليف إلى الولي، ولا مجال إلا لأصالة البراءة، دون الاستصحاب.

الحالة الثانية: احتمال أن يكون صدور الفعل من الغير موجباً لعدم ثبوت التكليف من الأول، أي: كون التكليف في أصل توجهه مشروطاً بعدم قيام الغير بذلك الفعل. فإن في مثل ذلك تجري أصالة البراءة، ولا مجال للاستصحاب، لعدم اليقين بأصل توجه التكليف حتى يستصحب. وإنما مورد الاستصحاب ما إذا احتمل أن يكون صدور الفعل من الغير موجباً لسقوط التكليف بعد ثبوته، أي: كون استمرار التكليف مشروطاً بعدم قيام الغير بذلك الفعل، فإن في مثله يمكن إجراء الاستصحاب. وأما مع احتمال أن يكون التكليف في أصل توجهه مشروطاً بعدم قيام الغير بذلك الفعل، فليس هناك يقين بالحالة السابقة من توجه التكليف إليه في وقت من الأوقات حتى يتسنى إجراء



الاستصحاب.

النحو الثالث: الشك في كون متعلق التكليف هو فعل المكلف نفسه، أو الأعم منه ومن الفعل الصادر من الغير، أي: يكون متعلق التكليف هو الجامع بين فعل نفسه وفعل الغير. والاختلاف بين هذا النحو والنحوين السابقين في غاية الوضوح، فإن المفروض في هذا النحو كون الشك في حدود المتعلق أي: احتمال أن يكون متعلق وجوب الحج مباشرة التكليف هو الأعم من فعل النفس وفعل الغير في مقابل أن يكون هو فعل النفس خاصة. وإذا كان المتعلق أعم من فعل الغير، وأتى الغير به، يسقط التكليف عندئذٍ بالامثال. وأما في النحوين الأولين فلم يكن الشك في حدود المتعلق، بل كان يحتمل انتفاء موضوع التكليف بفعل الغير في النحو الأول. ويحتمل كون الوجوب مقيداً بعدم إتيان الغير بذلك الفعل في النحو الثاني، فلا يكون عدم التكليف بعد صدور الفعل من الغير من جهة تحقق الامثال به بل لانتفاء موضوعه أو شرطه.

وقد يقال كما عن السيد الأستاذ (رضوان الله عليه)^(١): «إن هذا النحو غير

(١) محاضرات في أصول الفقه: ج ٢ ص ١٤٠ (بتصرف).

معقول في حد ذاته؛ وذلك لأن فعل الغير خارج عن اختيار المكلف وإرادته، فلا يعقل تعلق التكليف بالجامع بينه وبين فعل نفسه».

ونوقش من قبل غير واحد ..

أولاً: بأن فعل الغير الصادر منه بإرادته واختياره قد يكون مقدوراً للمكلف وقد لا يكون كذلك، فإذا كان بإمكانه ترغيبه في الإتيان به وحثه على ذلك بحيث يؤدي إلى قيامه به - ولو ببذل المال أو غير ذلك - كما في كثير من الموارد، فهو يعد مقدوراً له، فلا مانع من أن يكون متعلقاً للتكليف المتوجه إليه.

وبعبارة أخرى قد يكون الشخص قادراً على التسبب في صدور الفعل من الغير فيكون مقدوراً له بالواسطة، ولا يصح القول بأنه غير مقدور له لمجرد توسط إرادة الغير في الين، بل قدرته على التسبب في صدور الفعل من الغير تكفي في عدّ فعل ذلك الغير مقدوراً له.

وثانياً: إن المقرر في محله - كما اختاره (رضوان الله عليه) - أن الجامع بين المقدور وغير المقدور مقدور فلا مانع من جعله متعلقاً للتكليف، إذ لا يعتبر في متعلق التكليف أن يكون مقدوراً بجميع أفرادها، بل يكفي أن يكون مقدوراً ببعضها. فلو

سلم أن فعل الغير غير مقدور مطلقاً لما منع ذلك من جعل الجامع بينه وبين فعل المكلف نفسه متعلقاً للتكليف.

هذا ولكن يمكن أن يقال: إن الأمر وإن كان كما ذكر من ناحية معقولة جعل فعل الغير متعلقاً للتكليف المتوجه إلى الشخص، إلا أنه غير عقلائي أي: مما لا يستسيغه العقلاء.

فإن فعل زيد مثلاً الصادر منه بتسبب من عمرو لا ينسب إلى عمرو حقيقة، وإنها بتجاوز وعناية. هذا إذا كان قيامه بفاعله قياماً صدورياً فقط، وأما إذا كان حلولياً أيضاً - كما في الصلاة والصيام والحج ونحوها - فلا ينسب إلى المتسبب، ولو تجوزاً.

ففي مثل القتل ينسب الفعل إلى المتسبب في صدوره من الغير ولو بنحو من العناية والمجاز، كما إذا أغرى الغير بالقتل فقتل بإرادته واختياره. وأما في مثل الحج فلا ينسب إلى المتسبب في قيام الغير به ولو تجوزاً، فإذا تسبب عمرو في ذهاب زيد إلى الأراضي المقدسة والإتيان بالحج يقال: حج زيد، ولا يقال: حج عمرو.

وفي ضوء ذلك يمكن أن يقال: إن فعل الغير - ولو كان مقدوراً للمكلف - لا يصلح أن يكون بنفسه متعلقاً للتكليف

المتوجه إليه حقيقة، ولا الجامع بينه وبين الفعل الصادر من المكلف كذلك؛ لأن العقلاء لا يستسيغون مثله، فإن من مصححات توجيه التكليف بفعل إلى شخص عند العقلاء هو وقوع ذلك الفعل منتسباً صدوره إليه حقيقة لا بالعناية والمجاز، ولا يكفي كونه مقدوراً له.

فالإشكال ليس من جهة عدم المعقولة حتى يدفع بها ذكر من الوجهين، بل الإشكال من جهة عدم العقلانية ولا دافع له.

[بحوث في شرح مناسك الحج: ج ٥، ص ٧]



البلوغ حقيقته وأحكامه في الذكر الحكيم

الشيخ جعفر السجاني

للبحث عن البلوغ جوانب متعددة، فتارة يبحث عنه في علم الطب، وأخرى في الحقوق والقانون الوضعي، وثالثة في الفقه الإسلامي، ورابعة في العرف وعامة الناس، وإشباع الكلام في كل واحد من تلك الجوانب بحاجة إلى بحث مسهب خارج عن هدف الرسالة، وإنما نشير إليها بوجه موجز:

أما الجانب العلمي والطبي فيبحث فيه عن عوارض البلوغ المختلفة، من اشتداد العظم، وغلظة الصوت، وطول القامة، ونمو الصدر في الرجل، وظهور الثديين في المرأة، وظهور الشعر في العانة إلى غير ذلك من العوارض الطبيعية التي تظهر عند بلوغ الذكر والأنثى، وقد تعرض إليها علم وظائف الأعضاء مفصلاً.

وأما الجانب الحقوقي والقانوني
فبيحث فيه عن البلوغ بما أنه مبدأ
زوال الحجر عن الإنسان، فإن غير
البالغ محجور في تصرفاته عامة، فإذا
بلغ، نفذت تصرفاته، فبذلت جهود
لمعرفة عوارض البلوغ وعلائمه من
هذه الزاوية.

وأما الجانب الفقهي فيبحث
عن البلوغ الذي هو مبدأ التكليف
ومن لم يبلغ فقد رفع عنه القلم،
فالبلوغ موضوع للأحكام التكليفية
والوضعية.

وفي الوقت نفسه هو أمر عرفي
وله حقيقة لغوية عرفية يعرفها الناس
مفهوماً ومصداقاً، غير أن الشارع
مع إمضائه للمفهوم العرفي جعل له
ضوابط رفع بها الإبهام الذي يحفُّ
حوله، فليست للبلوغ حقيقة شرعية
أو متشرعية.

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى تحقيق
البلوغ من منظار الذكر الحكيم، وقد
عبّر عنه سبحانه في آياته بالتعابير
الثلاثة التالية: (بلوغ الحلم، بلوغ
النكاح، بلوغ الأشد).

فلتناول كل واحد منها بالبحث:

الأول: بلوغ الحلم:

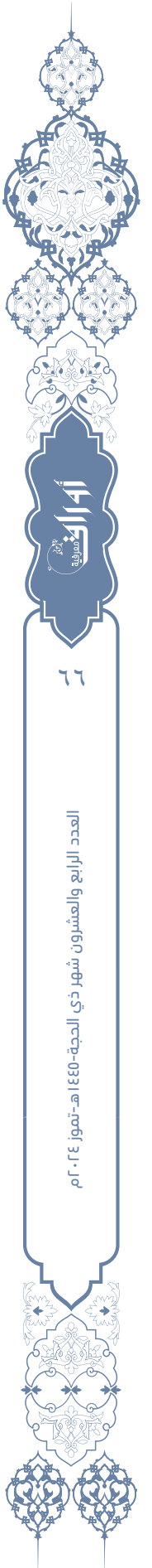
قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَيْسْتَأَذِنَكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ
تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ
صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ
لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ
طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١). وقال سبحانه:

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ
فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

أمر سبحانه: العبيد والإماء
والأطفال أن يستأذنوا إذا أرادوا
الدخول إلى مواضع الخلوات. فقلوله:
﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ إشارة إلى
العبيد والإماء، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَمْ
يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾ إشارة إلى الأطفال

(١) سورة النور: الآية ٥٨.

(٢) سورة النور: الآية ٥٩.



غير البالغين.

وأما مواضع الخلوة، فهي عبارة عن الأوقات الثلاثة من أوقات ساعات الليل والنهار وفسّرت بالشكل التالي:

١. ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾

حيث إنّ الإنسان يبيت عرياناً أو بلباس النوم.

٢. ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ

الظَّهِيرَةِ﴾ للنوم أو للترويح عن أنفسهم نتيجة الإرهاق والتعب الذي يصيبهم.

٣. ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾

حينما يأوي الرجل إلى امرأته ويخلو بها.

فهذه الأوقات الثلاثة التي أمر

الله سبحانه والإماء والعبيد والأطفال بالاستئذان عند الدخول وسماها

﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾. نعم رفع

عنهم أي جناح في غير هذه الأوقات الثلاثة، وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا

عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ أي: بعد هذه

الأوقات الثلاثة، ثم بين وجه رفع

الجناح، بقوله: ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾

أي هؤلاء الخدم والأطفال يطوفون بعضهم على بعض، فلا يمكن الاستئذان في كل دخول.

وأما الآية الثانية فقد أمر سبحانه

الطائفتين بالاستئذان على وجه

الإطلاق، وهما: البالغون من الأطفال

حيث قال: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ

مِنْكُمْ الْحُلُمَ﴾، والأحرار الكبار كما

قال سبحانه: ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ

مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(١). فحصوله الآيتين:

أنّ العبيد والإماء وغير البالغين

يستأذنون في ساعات الليل والنهار

ثلاث مرات، وأما البالغون والكبار

الأحرار يستأذنون في جميع الأوقات،

هذا ما يرجع إلى تفسير الآية حسب

ظاها.

ولصاحب الكشف هنا كلام قيّم

نأتي بنصّه، قال: «كان أهل الجاهلية

يقول الرجل منهم إذا دخل بيتاً غير

بيته حَيَّيْتُمْ صباحاً، وحَيَّيْتُمْ مساءً، ثمّ

يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته

في لحاف واحد، فصدّ الله عن ذلك،

(١) إشارة إلى ما ورد في الآية ٢٧ أعني قوله

سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا

غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾. لاحظ الميزان.

وعلم الأحسن والأجمل، وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة، قد تركوا العمل به، وباب الاستئذان من ذلك، بينا أنت في بيتك إذ ارعف عليك الباب بواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايا إسلام ولا جاهلية، وهو ممن سمع ما أنزل الله فيه وما قال رسول الله ﷺ، ولكن أين الأذن الواعية؟!»^(١).

ما هو المراد من بلوغ الحلم؟

قد عرفت أن الاستئذان في جميع الأوقات منوط ببلوغ الحلم، وهو آية البلوغ، ولكن يجب تحقيق معناه، فنقول: هنا عدة احتمالات:

أ. أن يكون المراد من الحلم هو العقل الذي يحصل بعد التمييز، فهناك طفولية، وتميز وتعلل، فالبالغ رتبة العقل يستأذن في جميعها، ويؤيده استعمال الحلم في القرآن بمعنى العقل، قال سبحانه: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

ب. أن يكون المراد هي الرؤية في المنام، وفي القاموس: الحلم بالضم،

والاحتلام: الجماع في النوم سواء خرج منه المنى أم لا.

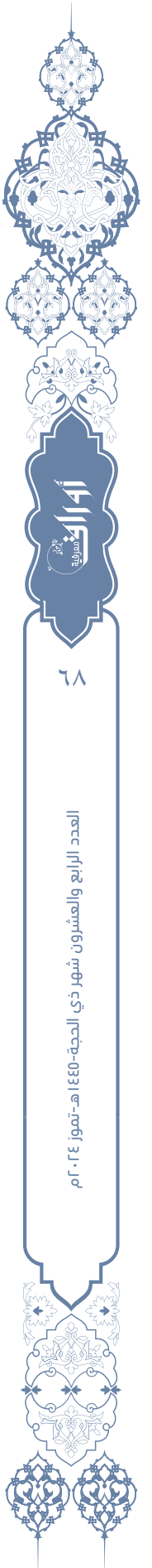
ج. الاحتلام كناية عن خروج المنى، وهو الذي عبر به الفقهاء كالمحقق في الشرائع سواء كان في اليقظة أو في المنام، ولا خصوصية للاحتلام أي: الجماع في النوم، فإنه قد يتحقق بدون خروج المنى، كما أن خروج المنى قد يتحقق بدونه، فالعبرة حينئذ في البلوغ بخروج المنى دون الرؤية في المنام.

د. أن يكون المراد هو الاستعداد لخروج المنى بالقوة القريبة من الفعل، وذلك بتحريك الطبيعة والإحساس بالشهوة، سواء انفصل المنى معه عن الموضع المعتاد أم لم ينفصل، لكن بحيث ضرورة دوران الأمر في الأول على الحديثة المتوقف صدقها ولو شرعاً على الخروج، بخلاف الثاني الذي هو أمر طبيعي لا يختلف بظهور الانفصال وعدمه^(٢).

هذه هي الاحتمالات، والأول بعيد جداً، لأن تعليق الحكم على أمر

(٢) النجفي، الجواهر: ج ٢٦ ص ١١.

(١) الزمخشري، الكشاف: ج ٢ ص ٦٩.



معنوي (العقل) في مجال الأطفال
يوجب الفوضى، وربما يقع الإنسان
في حيرة من أمره عند تطبيق الضابطة
على المورد، وإنّ هذا الطفل هل بلغ
من العقل، مبلغ الرجال الموضوع
للحكم أو لا؟

وأما الثاني: فالآية تقسم الأولاد
إلى قسمين:

١. ﴿الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾.

٢. الَّذِينَ بَلَغُوا الْحُلُمَ.

والقسم الثاني: بما أنّهم بلغوا
الحلم، فهم المسؤولون عن تطبيق
الحكم على الموضوع، وأما القسم
الأول فيما أنّهم غير مكلفين،
فالأولياء هم المسؤولون عن تطبيق
الحكم على الموضوع، فإذاً يجب أن
يكون الموضوع أمراً ظاهراً بيناً وجوداً
وعدماً، والرؤية الجنسية التي هي
التفسير الثاني للآية أمر خفي لا يطلع
عليه الأولياء بسهولة حتى يميّزوا
البالغين للحلم عن غيرهم.

وبذلك يعلم عدم صحّة الوجه
الرابع؛ لأنّ استكشاف الاستعداد
وعدمه أمر صعب، فمن أين يقف

الولي على أنّه مستعد للجماع أو لا؟
فيتعين المعنى الثالث، وعليه بعض
الروايات كما سيوافيك.

وإنّ أبيت فالمعنيان: الثالث
والرابع من جهة القرب سواء.

فإن قلت: إذا كان خروج المني هو
الملاك، فجعله علامة للبلوغ أمر لغو،
وذلك لتأخره عن الخمس عشرة سنة
الذي هو الحدّ عند المشهور للبلوغ
السني.

قلت: إنّ تأخر الاحتلام أمر غالبي
وليس أمراً دائماً، كما يقول صاحب
الجواهر: «ولقد شاهدنا من احتلم
في ثلاث عشرة سنة واثنى عشرة
سنة، وقال بعض الأفاضل: ينبغي
القطع بالإمكان في الثلاث عشرة فما
فوقها لقضاء العادة بالاحتلام في ذلك
غالباً»^(١).

روي مرفوعاً عن أبي عبد الله عليه السلام
أنّه قال: «يثغر الغلام لسبع سنين،
ويؤمر بالصلاة لتسع، ويفرق بينهم
في المضاجع لعشر، ويحتلم لأربع

(١) النجفي، الجواهر: ج ٢٦ ص ١٣.

عشرة^(١). ولقد حدثني بعض زملائي أنه احتلم وله من العمر عشر سنين. على أنه لا يكون لغواً؛ لأنَّ الرجوع إلى الاحتلام إذا جهل السن، وإلا فلو علم السن فيحكم بالبلوغ، وأمّا إذا جهل فالاحتلام يكشف عن البلوغ الحادث به أو السابق عليه.

الثاني: بلوغ النكاح:

قال سبحانه: ﴿وَابْتَغُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَليَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(٢).

اتَّفَقَ الفقهاء على أنه لا يدفع مال اليتيم إلا بعد البلوغ واستئناس الرشد، فقد عبّرت الآية عن الشرط الأوّل ببلوغ النكاح وهو في اللغة بمعنى الوطاء، ولا شك أنه لا يشترط

إذا علم البلوغ والرشد، فلا محالة يفسّر بما فسّرت به الآية الأولى، وهو خروج المني كما هو المختار، أو قابليته على النكاح والوطء وهو الاحتمال الرابع فيها.

الثالث: بلوغ الأشد:

جاء بلوغ الأشد في غير واحد من الآيات: قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾^(٣). وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤).

وقال ﷺ: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾^(٥). وقال ﷺ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾^(٦). وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾^(٧).

وقال ﷺ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ - إلى أن قال: -

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٥٢.

(٤) سورة يوسف: الآية ٢٢.

(٥) سورة الحج: الآية ٥.

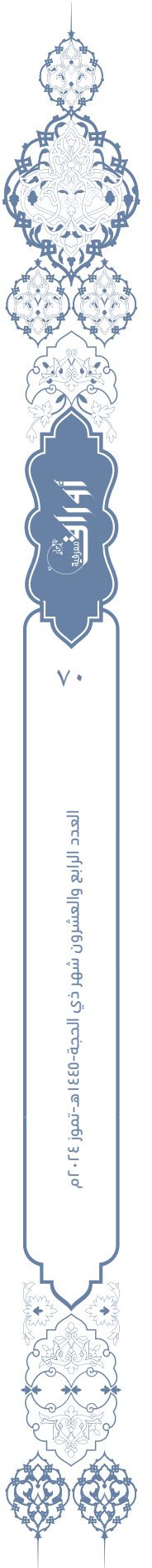
(٦) سورة القصص: الآية ١٤.

(٧) سورة غافر: الآية ٦٧.

(١) الوسائل: ج ١٥، الباب ٧٤، من أبواب

أحكام الأولاد، الحديث ٥.

(٢) سورة النساء: الآية ٦.



﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ

سَنَةً﴾^(١). والآية الثانية نزلت في

يوسف، والرابعة في موسى، وغيرهما

في نوع الإنسان.

والمراد من بلوغ الأشد بلوغه من

القوة، الذي يكون مبدؤه الاحتلام

ونهايته بلوغ الأربعين، ولأجل ذلك

ترى أنه جمع في سورة الأحقاف بين

بلوغ الأشد وبلوغ الأربعين.

والآية الثالثة تدل على أن بلوغ

الأشد، خروج عن الطفولة، ودخول

في البلوغ؛ كما أن الآية الخامسة تقسم

حياة الإنسان إلى ثلاث مراحل:

الطفولة، وبلوغ الأشد، والشيخوخة.

وهي تدل على أن البلوغ أمر تدريجي له

مراتب من القوة والشدة، وإن الشارع

جعل المرتبة البدائية منه، موضوعاً

للأحكام.

وعلى ضوء ذلك فالآيات المذكورة

تنطبق على الاحتلام الملازم لخروج

المني من دون فرق بين خروجه حين

اليقظة أو المنام، ولا يستفاد من الآيات

أزيد من ذلك، وقد أشار القرآن إلى

(١) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

علامة واحدة واضحة للبلوغ وهي
الاحتلام، ولا ينافيه وجود علامات
أخرى له.

[رسالة وجيزة في البلوغ، حقيقته

وعلائمه]

اولاد النحمة

طلب الدواة والكتف

السيد محسن الامين

قال المفيد: فلما سلم انصرف إلى منزله واستدعى أبا بكر وعمر وجماعة من حضر بالمسجد من المسلمين ثم قال: أ لم آمركم أن تنفذوا جيش أسامة؟ فقالوا بلى يا رسول الله، قال فلم تأخرتم عن أمري؟

الأولى: ما

رواه البخاري في

صحيحه في باب قول

المريض قوموا عني من كتاب المرضى والطب بسنده عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال: النبي ﷺ **هلم اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده**، فقال عمر ان النبي قد غلب عليه الوجد وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي كتابا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي ﷺ قال رسول الله ﷺ: **قوموا**، وزاد بعضهم قوموا عني حكاها القسطلاني، قال عبيد الله: وكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغتهم.

قال أبو بكر: إني خرجت ثم رجعت لأجدد بك عهداً، وقال عمر يا رسول الله إني لم أخرج لأني لم أحب أن أسال عنك الركب، فقال: **أنفذوا جيش أسامة** يكررها ثلاث مرات ثم أغمي عليه من التعب الذي لحقه والأسف فمكث هنيئة مغمى عليه وبكى المسلمون وارتفع النحيب من أزواجه وولده ونساء المسلمين وجميع من حضر من المسلمين فأفاق ثم قال: **ائتوني بدواة وكتف لأكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبداً**، ثم أغمي عليه فقام بعض من حضر يلتمس دواة وكتفا، فقال له عمر: ارجع فإنه يهجر فرجع، وندم من حضر على ما كان منهم من التضييع في احضار الدواة والكتف وتلاوموا بينهم وقالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون لقد أشفقنا من خلاف رسول الله ﷺ، فلما أفاق قال بعضهم نأتيك بدواة وكتف؟ فقال: **أبعد الذي قلتكم ولكني أوصيكم باهل بيتي خيرا**، واعرض بوجهه عن القوم فنهضوا، وقد روي في ذلك عدة روايات غير هذه الرواية.

الثانية: ما رواه محمد بن سعد كاتب الواقدي في الطبقات الكبير بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس مثله إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: بدل حضر حضرته الوفاة وبدل لا تَضَلُّوا لن تَضَلُّوا وبدل فلما أكثرُوا اللغو والاختلاف عند النبي فلما كثر اللغو الاختلاف وغموا رسول الله وبدل قوموا قوموا عني.

الثالثة: ما رواه البخاري في صحيحه في باب مرض النبي ﷺ بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فقال النبي ﷺ: **هَلُمُّوا اكتب لكم كتاباً لا تَضَلُّوا بعده**، فقال بعضهم: إن رسول الله قد غلبه الوجد وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قَرَّبُوا يكتب لكم كتاباً لا تَضَلُّوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثرُوا اللغو والاختلاف، قال رسول الله ﷺ قوموا، قال عبيد الله: فكان يقول ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغظهم.

قال القسطلاني في ارشاد الساري بعد قوله فقال بعضهم: هو عمر بن الخطاب.

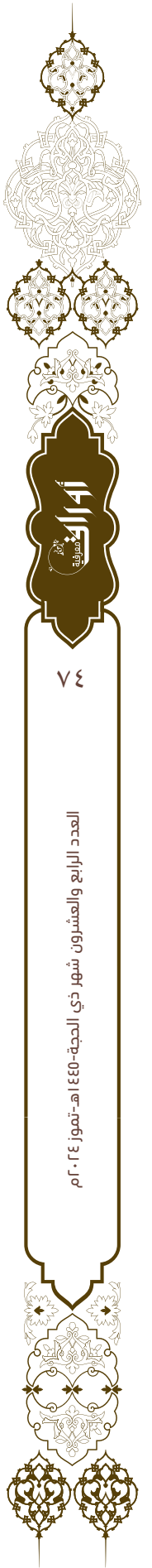
الرابعة: ما رواه ابن سعد في الطبقات

الكبير بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: اشتكى النبي ﷺ يوم الخميس فجعل يعني ابن عباس يبكي ويقول يوم الخميس وما يوم الخميس اشتد بالنبي وجعه، فقال: **اَتْتُونِي بدواة وصحيفة اكتب لكم كتاباً لا تَضَلُّوا بعده أبداً**، فقال: بعض من كان عنده: إن نبي الله ليهجر فقيل: ألا نأتيك بما طلبت فقال **أ وبعد ماذا**، فلم يدع به.

الخامسة: ما رواه ابن سعد أيضًا بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما كان في مرض رسول الله ﷺ الذي توفي فيه دعا بصحيفة ليكتب فيها لأتمته كتاباً لا يضلون ولا يضلون فكان في البيت لغط وكلام وتكلم عمر بن الخطاب فرفضه النبي ﷺ.

السادسة: ما رواه أيضًا بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أَنَّهُ كَانَ يَقُول: يوم الخميس وما يوم الخميس، قال: وكأني أنظر إلى دموع ابن عباس على خده كأنها نظام اللؤلؤ قال: قال: رسول الله ﷺ: **اَتْتُونِي بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لا تَضَلُّوا بعده أبداً**، فقالوا إنما يهجر رسول الله ﷺ.

السابعة: ما رواه الطبري في تاريخه بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يوم الخميس وما يوم الخميس ثم



نظرت إلى دموعه تسيل على خديه كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله ﷺ: **اثنوني باللوح والدواة أو بالكثف والدواة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده،** فقالوا إن رسول الله يهجر.

الثامنة: ما رواه ابن سعد في الطبقات بسنده عن عمر بن الخطاب: كنا عند النبي ﷺ وبيننا وبين النساء حجاب فقال رسول الله ﷺ **اغسلوني بسبع قرب واثنوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً،** فقال النسوة اتتوا رسول الله بحاجته فقلت اسكتن فإنكن صواحبه إذا مرضن عصرتن أعينكن وإذا صحَّ أخذتن بعنقه، فقال رسول الله ﷺ: **هن خير منكم.**

التاسعة: ما رواه ابن سعد أيضاً بسنده عن جابر: دعا النبي ﷺ عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لأمته لا يضلوا ولا يضلوا فلغظوا عنده حتى رفضها النبي ﷺ العاشرة ما رواه أيضاً بسنده عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: **اثنوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً،** فقال عمر بن الخطاب من لفانة وفلانة مدائن الروم أن رسول الله ليس بميت حتى يفتحها ولو مات لانتظرنه كما انتظرت بنو إسرائيل موسى فقالت زينب زوج النبي ﷺ: ألا

تسمعون النبي يعهد إليكم فلغظوا فقال: **قوموا..** الحديث.

وهذه الأحاديث والأحاديث الآتية معانيها أظهر من أن تبين ومضامينها أجلى من أن تفسر. ولكن الأهواء والميول الخاصة تأبى إلا أن تتمحّل لها معاني لا تدلّ عليها وتحملها على محامل لا تؤول إليها.

قال القسطلاني في إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري في شرح رواية البخاري الأولى: «**أكتب لكم كتاباً**» فيه استخلاف أبي بكر بعدي أو فيه مهمات الأحكام لا تضلوا بعده ولا ترتابوا لحصول الاتفاق على المنصوص عليه. فقال عمر: إن النبي قد غلب عليه الوجد فلا تشقوا عليه بإملاء الكتاب المقتضي للتطويل مع شدة الوجد وعندكم القرآن فيه تبيان كل شيء حسبنا كتاب الله المنزل فيه ما فرطنا في الكتاب من شيء واليوم أكملت لكم دينكم فلا، تقع واقعة إلى يوم القيامة إلا وفي القرآن والسنة بيانها نصاً أو دلالة وهذا من دقيق نظر عمر، فانظر كيف اقتصر على ما سبق بيانه تخفيفاً عليه ﷺ ولئلا ينسد باب الاجتهاد والاستنباط وفي تركه ﷺ الإنكار على عمر دليل على استصواب رأيه فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول قَرَّبوا يكتب لكم، ومنهم من يقول: ما قال عمر

وكأنهم فهموا من قرينة قامت عندهم أن أمره لم يكن للوجوب فلذا اختلفوا بحسب اجتهادهم (اه).

وهذه المحامل والتحملات وإن كانت واضحة البطلان إلا أننا نشير إلى وجوه بطلانها:

أولاً: إن حصر ما في الكتاب الذي أراد أن يكتبه لهم فيما ذكره تخرص على الغيب وظاهر الحال أنه كان يريد أن يؤكد ما تقدم به يوم الغدير، وكان ذلك هو السبب في الحيلولة دون الكتاب ولو كان ما ذكره لسارع إليه من حال دون الكتاب فإنه لا شيء أحب إليه منه والاعتذار بإرادة التخفيف ستعرف فساده .

ثانياً: المراد كتبه سواء أكان فيه استخلاف أبي بكر أم غيره، فالحيلولة بين النبي وبينه أوجبت اختلاف الأمة وصيرورتها بعد النبي ﷺ أحزاباً ثلاثة أو خمسة وهي مفسدة كبيرة.

ثالثاً: تفسيره لا تضلُّوا بلا ترتابوا تفسير بما لا يدل عليه اللفظ وتقول على حديث الرسول ﷺ فالضلالة ضد الرشاد كما حكاه هو عن الجوهرى فكانت الحيلولة دون الكتاب فيها إيقاع لهم في الضلالة .

رابعاً: حمله قد غلب عليه الوجد على أن المراد لا تشقوا عليه بإملاء الكتاب

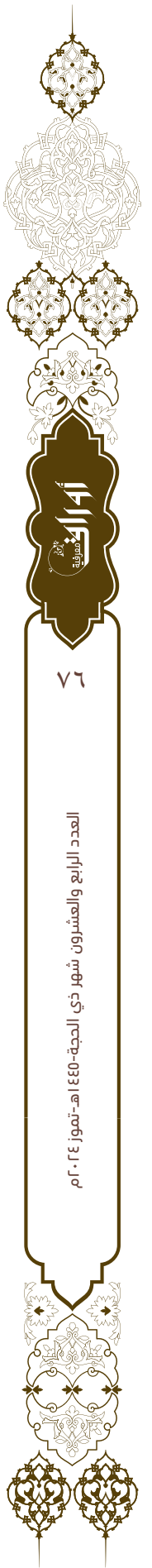
المقتضي للتطويل غير صواب، بل إن الظاهر أن المراد به ما في الروايات الأخرى من أنه يهجر كما تضمنته روايات ابن سعد والطبري عن ابن جبير عن ابن عباس المقدمة وما تضمنته الروايات الآتية .

خامساً: إذا كان مضمون الكتاب غير معلوم فمن أين علم أنه يقتضي التطويل ولعله يتضمن أمراً واحداً مهما لا يحتاج إلى أكثر من كلمات معدودة.

سادساً: تحمُّل المشقة إن كانت أولى من الوقوع في الضلالة التي أشير إليها بقوله: لا تضلُّوا بعده.

سابعاً: إن كان أشفق عليه من مشقة إملاء الكتاب فقد أوقعه في مشقة أعظم كانت متوقعة وهي حصول النزاع والخصام والاكثار من اللغو واللغط والاختلاف حتى آذوا رسول الله ﷺ غموه كما تضمنته رواية الطبقات وحتى احتاج إلى أن يطردهم من عنده ويقول لهم متبرماً بهم «قوموا عني» مع ما وصفه الله تعالى به من أنه على خلق عظيم.

ولو كان القصد الاشفاق لمنعهم من النزاع واللغط بحضرة النبي ﷺ فإنه لا ينبغي النزاع بحضرة في حال صحته فكيف في حال مرضه، وكان عليه لما رأى من يخالفه في الرأي أن يمكن من كتابة الكتاب



لينقطع الخصام إشفاقاً على النبي ﷺ وظاهر الحال يقتضي أنه كان في البيت جماعة يوافقونه على المنع من كتابة الكتاب، بل لعلمهم كانوا أكثر ولهذا تغلبوا على من وافقوا على كتابته فهل كان تمكينه من كتابة الكتاب أكثر مشقة عليه من اللغو واللفظ والنزاع والخصام ورفع الأصوات الذي غمّه وأكربه وأوجب تبرمه بهم وطردهم من عنده . فظهر أن التعليل بالإشفاق غير صحيح.

ثامناً: كون القرآن مغنياً؛ لأن فيه تبيان كل شيء وأنزل فيه ما فرطنا في الكتاب من شيء غير صواب، فإن ذلك يراد به والله العالم أن فيه أصول الأحكام وإجمالها، والتفاصيل تعرف من السنة كما هو واضح وكما أشار إليه بقوله إلا وفي القرآن والسنة بيانها.

تاسعاً: هل كان النبي يجهل ما يشتمل عليه القرآن حتى يرشده إليه من حال دون الكتاب وهل كان أعلم بذلك من النبي .

عاشراً: الناس اختلفوا في أمر الخلافة بعد النبي ﷺ فجملة من المهاجرين قدموا أبا بكر وقال بعض الأنصار منا أمير ومنكم أمير وقالت الأنصار أو بعض الأنصار لا نريد إلا علياً رواه الطبري، ومعهم جميع بني هاشم فهل حكم بينهم القرآن الذي

فيه تبيان كل شيء، فجعل ذلك من دقيق نظر من حال دون الكتاب لم يستند إلى نظر دقيق.

حادي عشر: قوله ولئلا ينسد باب الاجتهاد والاستنباط طريف جداً ففتح باب للاجتهاد يوقع في الخطأ والضلال وفي غير ما حكم به الله تعالى مع إمكان سدّه وإيصال الخلق إلى أحكام الله الواقعية يعد سفهاً ومنافياً لحكمته تعالى والاجتهاد لا يصار إليه إلا عند الاضطرار.

ثاني عشر: قوله في تركه الإنكار عليه دليل على استصواب رأيه، طريف أيضاً، فأئني انكار أكثر من قوله أو بعد ماذا؟ كما مرّ في رواية ابن سعد عن ابن جبير عن ابن عباس وقوله: **أبعد الذي قلتُم**، كما مرّ في رواية المفيد، وقوله: **هَنَ خَيْرٌ منكم**، بعدما قلن ائتوا رسول الله بحاجته وقال هن عمر ما قال فإنه يدل على تصويب رأيهن دون رأيه.

ثالث عشر: قوله وكأنتهم فهموا من قرينة أن أمره لم يكن للوجوب فلذا اختلفوا بحسب اجتهادهم، تأويل غريب، فالقرينة لو كانت لنقلت لتوفر الحاجة ولو كانت لما اختلفوا والاجتهاد لا يكون في مقابل النص، بل القرينة على أنه للوجوب أظهر من أن تخفى، وأي قرينة أوضح وأصرح

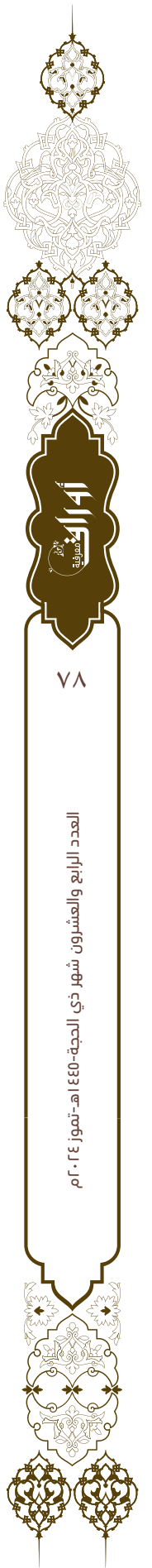
وأدُلُّ وأظهر من قوله لن تضلُّوا بعده وكيف يتوهم متوهم أن هذا الأمر ليس للوجوب وهو أمر من سيد الكائنات ورسول رب السماوات الرؤوف الرحيم بالمؤمنين في آخر ساعة من حياته لأمة يخاف عليها الضلال من بعده، فيريد أن يكتب لها كتاباً لا تضل بعده أبداً فأَيُّ شيء أوجب وأهم من كتاب يحفظ الأمة من الضلال بعد النبي ﷺ أبداً إلى آخر الدهر، وهل يسوغ في العقول أن يترك هذا الأمر؟ ولكن الواقع أن القرينة الصريحة كانت موجودة على أنه يريد أن يؤكد ما سبق منه في يوم الغدير وأنهم فهموا منه أن الكتاب يتعلق بالخلافة والإمامة بعده؛ لأنه لا شيء أهم منها في تلك الحال، وقد فهموا منه مما تقدم به يوم الغدير ويوم جمع بني هاشم في مكة في أول البعثة ومن أمور كثيرة وعلموا علماً لا يداخله ريب أنه لن يعدوا بها علماً بهذا الذي دعا إلى أن يقول بعضهم غلب عليه المرض أو يهجر حسبنا كتاب ربنا، وهل يمكن أن يخالف كتاب رسول الله كتاب ربهم؟

رابع عشر: يردُّ كلُّ هذه التحملات ويبيطلها إبطالاً صريحاً ما مرَّ ويأتي عن ابن عباس من أنه كان يبكي بكاءً شديداً إذا ذكر تلك الحادثة حتى تسيل دموعه على خديه كأنها نظام اللؤلؤ ويتألم تألماً شديداً

كما يدل عليه قوله يوم الخميس وما يوم الخميس، وقوله إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب الخ... ولا شك أن ابن عباس فهم أن الكتاب لتأكيد ما جرى يوم الغدير، فلذلك كان يبكي بكاءً شديداً عندما يتذكر الحيلولة دون الكتاب، ولو كان غير ذلك لما كان لبكائه موجب، فالدين كامل ولم يفرط في القرآن من شيء والخليفة موجود فلماذا يبكي ابن عباس ويشتد بكاءه؟ وتحل القسطلاني للاعتذار عما صدر عن ابن عباس بما يأتي في شرح الرواية الثالثة وسنين فساد.

وقال القسطلاني في شرح الرواية الثالثة: واستنبط منه أن الكتابة ليست بواجبة وأنه لم يتركها ﷺ لأجل اختلافهم لقوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(١)، كما لم يترك التبليغ لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه، وكما أمر في تلك الحالة بإخراج اليهود من جزيرة العرب وغير ذلك، قال ولا يعارض ذلك أن ابن عباس كان يقول: إن الرزية كل الرزية الخ؛ لأن عمر كان أفقه من ابن عباس قطعاً، وذلك لأنه إن كان من الكتاب بيان أحكام الدين ورفع الخلاف فقد علم عمر

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧.



حصول ذلك من قوله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(١)، وذكر نحوها مما مرّ عنه في شرح الرواية الأولى.

ونقول: أولاً: استنباط أن الكتابة ليست بواجبة من ترك النبي لها لأجل اختلافهم، في غير محله، بل الظاهر أن تركها لما ظهر له من عدم جدواها بدليل قوله في الرواية الرابعة: **أو بعد ماذا؟** وفي رواية المفيد: **أبعد الذي قلمت**، كما مرّ، فاكتفى بالتبليغ الشفوي للأمر الذي ترك عمداً أو قيل عنه أنّه نسي فإنّ الواجب التبليغ كتابة أو باللسان والأول أبلغ فلما منع منه اكتفى بالثاني، وكيف كان فليس بيدنا ما يوجب القطع بأنه لم يبلغ لساناً.

ثانياً: التبليغ كان قد حصل منه يوم الغدير وغيره كما مرّ، وظاهر الحال أن الكتابة كان يراد بها تأكيد ما سبق منه يوم الغدير وغيره وتأكيده إقامة الحجة، فلما سمع منهم نسبته إلى الهجر وإلى غلبة المرض عليه ورأى لغطهم وصياحهم وخصامهم عنده الذي يراد به تشويش الأمر عليه ليمنع من الكتاب أعرض عنهم وطردهم من عنده وتبرم بهم وقال: **قوموا عني**، واكتفى بالتبليغ السابق بقوله: **أوصيكم بأهل بيتي خيراً**، وبالشئ الذي زعم الزاعم أنّه نسي.

ثالثاً: قد عرفت في الأمر الثاني عشر في الرد على تفسيره الرواية الأولى أن حمل الأمر على الاستحباب فاسد وأنه لا يمكن أن يكون شيء أوجب من كتابة ما يحفظ الأمة من الضلال إلى آخر الدهر.

رابعاً: الكتابة إن لم تكن واجبة فلا أقل من رجحانها واستحبابها كما يدل عليه الأمر بها، والتبليغ كما يجب في الواجبات يجب في المستحبات وليس لأحد أن يمنع منه في واجب أو مستحب لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢)، والاعتذار عنه بإرادة رفع المشقة عن النبي ﷺ قد علم فساده مما مرّ ومن تبليغه الأمور الثلاثة التي نسوا أو تناسوا ثالثها.

خامساً: استدلاله على كون عمر أفقه من ابن عباس بمنعه النبي من الكتابة إشفاقاً عليه من المشقة ينفيه أن النبي كان أفقه منهما قطعاً وأعلم بالمصلحة فمنعه من أمر راجح يريد فعله ليس فيه شيء من الأفقية وإلا لكان أفقه من النبي أيضاً.

سادساً: ابن عباس كان يقول أو يقال عنه إن عنده ثلثي علم رسول الله ﷺ وهو تلميذ علي بن أبي طالب وخريجه الذي كان

(٢) سورة النساء: الآية ٦٥.

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

يقول فيه عمر: قضية ولا أبو الحسن لها، لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن، لولا علي هلك عمر، فدعوى القطع بأن عمر أفقه من ابن عباس مجازفة، وقول زينب أم المؤمنين في الرواية العاشرة: ألا تسمعون النبي يعهد إليكم، توبخ لهم وتقريع على عدم سماعهم عهد النبي إليهم وهو في آخر حياته، الذي يدل على أنه عهد في شيء عظيم. وما تضمنته الرواية العاشرة من قول عمر ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو إسرائيل موسى هو قول بالرجعة.

الوصايا الثلاث التي نسيت إحداهن الحادية عشرة من الروايات الواردة في طلب الدواة والكتف ما رواه البخاري في صحيحه في باب مرض النبي ﷺ قال: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان بن عيينة عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبيرة قال: قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس اشتد برسول الله ﷺ وجعه، فقال: **اتتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما شأنه أهجر؟ استفهموه فذهبوا يردون عليه فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه وأوصاهم بثلاث، قال: اخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم**

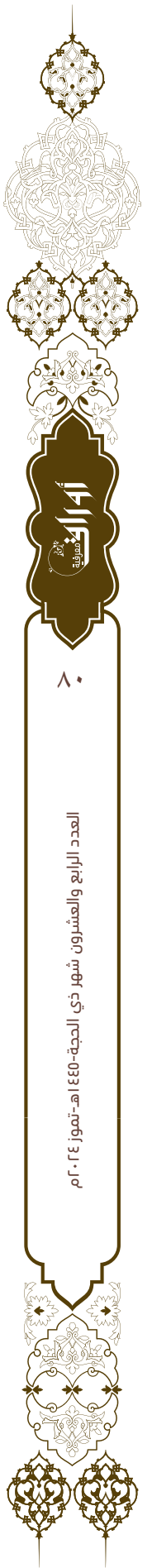
وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها.

الثانية عشرة: ما رواه الطبري في تاريخه بسنده عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس مثله إلا أنه قال: **لا تضلوا بعدي أبدا،** وقال: ولا ينبغي عند نبي أن يتنازع، وقال: فذهبوا يعيدون عليه، وقال: وسكت عن الثالثة عمداً أو قال: فنسيتها، ورواه الطبري بطريق آخر مثله غير أنه قال: ولا ينبغي عند نبي أن ينازع.

الثالثة عشرة: ما رواه ابن سعد في الطبقات بسنده عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس مثله إلا أنه قال: **اتتوني بدواة وصحيفة،** وقال فذهبوا يعيدون عليه وقال فسكت عن الثالثة فلا أدري قالها فنسيتها أو سكت عنها عمداً (اه).

قال القسطلاني في ارشاد الساري في شرح الرواية الحادية عشرة: فتنازعوا فقال بعضهم: نكتب لما فيه من امثال الأمر وزيادة الايضاح، وقال عمر: حسبنا كتاب الله، فالأمر ليس للوجوب بل للإرشاد إلى الأصلح.

وأقول: أمّا أن الأمر ليس للوجوب فقد علم فساده مما مرّ في الأمر الثاني عشر في الرد على تفسيره الرواية الأولى وأنه لا يمكن أن يكون شيء أوجب من كتاب يحفظ الأمة من الضلال إلى آخر الدهر وهبه



للإرشاد، فهل هو إرشاد إلى شيء تافه لا يؤبه له، أنى والنبى ﷺ يصرح بأنه يحفظ الأمة من الضلال بعده إلى آخر الدهر قال: ولا ينبغي عند نبى تنازع: قيل هذا مدرج من قول ابن عباس ويرده قوله ﷺ في كتاب العلم في باب كتابه العلم ولا ينبغي عندي التنازع (اه).

وأقول: إذا قال النبى في موضع لا ينبغي عندي التنازع لا يمنع أن يقول مثله ابن عباس في موضع آخر ويمكن أن يكون سمع مضمونه منه فقال، وكيف كان فهو يدل على أنهم أخطأوا وأسأؤوا الأدب بتنازعهم عنده .

قال: فقالوا ما شأنه أ هجر الهجر بالضم الهذيان الذي يقع من كلام المريض الذي لا ينتظم، وانما قال ذلك من قاله منكرا على من توقف في امثال أمره بإحضار الكتف والدواة فكأنه قال: كيف نتوقف أن نظن أنه كغيره يقول الهذيان في مرضه امثل أمره فإنه لا يقول إلا الحق استفهموه بصيغة الأمر فذهبوا يردون عليه أي: يعيدون عليه مقالته ويستثبتونه فيها (اه).

وأقول: هذا التأويل الذي ذكره من حمل قولهم: أ هجر؟ على الاستنكار مع بعده عن سوق الكلام يرده صريحا ما في الروايات الأخرى المتقدمة ففي الرواية

الرابعة: إن نبى الله لي هجر، وفي السادسة انما يهجر رسول الله وفي السابعة فقالوا: إن رسول الله يهجر فهذه كلها صريحة في أنهم أسندوا الهجر إليه فكذلك في هذه الرواية لأن الروايات يفسر بعضها بعضا وكذلك قول بعضهم قد غلب عليه الوجدع أو عليه الوجدع لا يراد به الا الهجر كما مر وكذلك قولهم استفهموه وقوله فذهبوا يردون عليه دال على أن قولهم: أ هجر كان للاستفهام المحض لا للإنكار على من توقف في امثال امره فبعد ما قالوا استفهموه لتعلموا هل كان كلامه هجر أو عن روية وادراك قال: فقال دعوني فالذي أنا فيه من المشاهدة والتأهب للقاء الله عز وجل خير مما تدعوني إليه من شأن كتابة الكتاب (اه).

وأقول: **قوله دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني،** معناه والله العالم انه خير مما تدعوني إليه من الاستفهام عن إن قولي هجر أو حقيقة فان محاورتي في ذلك لا تفيد شيئا بعد ان قلت ما قلت ولا فائدة في كتابة الكتاب، ولكنني أوصيكم مشافهة بثلاث: حفظ منهن اثنتين ونسيت الثالثة، ولعلها أهمهن والله أعلم لم نسيت أو تنوسيت.

[أعيان الشيعة: ج ٢، ص ١٦١-١٦٦]



عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ

السيد محمد تقي الحكيم

مع معاوية في أيام حكمه

ومن طريف ما يدخل في هذا الباب ما حدثوا عنه من أَنَّهُ قال: «قدمت على معاوية، وقد قعد على سريريه وجمع أصحابه ووفود العرب عنده، فدخلت فسلمت وقعدت، فقال: من الناس يا بن عباس؟» ورَبَّما انتظر أن يُسمع الحاضرين كلمة فيه تقال في أمثال هذه المقامات، ولو على سبيل المجاملة، ولكنه كان أعمق من أن يؤخذ من هذه السبيل يقول: «فقلت: نحن»، واحتملها معاوية، ثُمَّ استدرجه لعله يظفر بالمرتبة الثانية لهم «فقال: فإذا غبتم، يقول: فقلت: لا أحد»، قال - وقد خرج عن إهابه -: «أترى أنني قعدت

يستمر ابن عباس بطلاقة فيجيب على تهديد معاوية بتهديد: «ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا، وليس الذي يبلغك عنا بأعظم من الذي يبلغنا عنك، ولو وضع أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لمحقها، ولو وضع أدنى عذرنا إليكم على مائة سيئة لحسنها.

وَأَمَّا خذلنا عثمان فلو لزمنا نصره لنصرناه، وما قتلنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم مما دخلوا فيه. وَأَمَّا حربنا إياك بصفين فعلى تركك الحق وادعائك الباطل، وَأَمَّا إغراؤك إيانا بتيمة وعدي فلو أردناها ما غلبونا عليها»^(١).



عن هذا المقعد بكم فقال: قلت: نعم فبمن قعدت؟ قال: بمن كان مثل حرب بن أمية، قلت: بل بمن أكفأ عليه إناءه وأجاره بردائه... تقول الرواية «فغضب وقال: وار شخصك عني شهراً، فقد أمرت لك بصلتك وأضعفتها لك، فلما خرج ابن عباس قال لخاصته: ألا تسألوني ما الذي أغضب معاوية»^(١)، فلما سأله شرح لهم قصة استجارة جده حرب بعبد المطلب من ابنه الزبير في حديث طويل..

ويبدو أن أهل البيت عليهم السلام كان موقفهم من معاوية يشبه هذا الموقف، وكان هو يضيق بهم وربه، وربما جرّه الحديث إلى عتابهم فينبري ابن عباس إلى جوابه، يقول صاحب العقد: «اجتمع بنو هاشم عند معاوية فأقبل عليهم فقال: يا بني هاشم والله إن خيري لكم لمنوح، وإن بابي لكم لمنوح، فلا يقطع خيري عنكم علّة، ولا يوحد بابي دونكم مسألة، ولما

(١) المحاسن والمساوي - تصحيح محمد بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة، مصر، سنة الطبع ١٣٢٥ هـ - ج ١: ٦٧.

نظرت في أمري وأمركم رأيت أمراً مختلفاً، إنكم لترون أنكم أحقّ بما في يدي مني، وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقكم قلت: أعطانا دون حقنا وقصّر بنا عن قدرنا، فصرت كالمسلوب، والمسلوب لا حمد له وهذا مع إنصاف قاتلكم وإسعاف سائلكم»^(٢).

وبالطبع كان هذا الكلام بما اشتمل عليه من دالة بإعطاء الهاشميين من خيره واعتبار ما يعطيه من أمواله الخاصة مثيراً لهم جداً، وأيّ هاشمي يحضر ويسمع هذا الكلام فلا يثور؟! وهم الذين عودوا الناس بصلاتهم الخاصة، أفيحضرون أن يتقبلوا الصّلات من أمثال معاوية على ما بينه وبينهم من عدااء متصل ترتفع رواسته إلى بيتيهما قديماً وحديثاً، فكان لا بدّ لصاحبنا أن يجيب وأن يوضح لمعاوية بأن تقبلهم لصلاته وحضورهم لذلك لم يكن لو كان هو صاحب المال، وإنما كان ذلك من قبيل انتزاع الحق الذي يملكونه، وقد

(٢) العقد الفريد ج ٢: ٩٤.

الخمس، وما دام خصمهم قد أمسك بهذا المال عنهم، فليس لديهم ما يمنع من مطالبته وانتزاع هذا الحق منه في حدود ما تقتضيه ظروفهم الخاصة.. تقول الرواية وكان جواب معاوية: «كفاني فإنك لا تُعزُّ ولا تُشجُّ»^(١). أي: لا تغلب ولا تجرح.

[عبد الله بن عباس شخصيته وآثاره]

حال بينهم وبين بلوغه إليهم بحكم تحكُّمه واستيلائه على جملة مواردهم الاقتصادية العامة، يقول: «والله ما منحتنا شيئاً حتى سألناه ولا فتحت لنا باباً حتى قرعناه، ولئن قطعت عنا خيرك، لله أوسع منك، ولئن أغلقت دوننا بابك، لنكفُن أنفسنا عنك، وأما هذا المال فليس لك منه إلَّا ما لرجل من المسلمين، ولنا في كتاب الله حقٌّ، حقٌّ في الغنيمة، وحق في الفيء، فالغنيمة ما غلبنا عليه، والفيء ما اجتبيناه، ولولا حقُّنا في هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله خفٌّ ولا حافر، اكفأك أم أزيدك».

وهذا الحديث - على إيجازه - يملأ كثيراً من الفجوات في أسرار تقبُّلهم لصلاته، مع ما بينهم من المفارقات، فهم لا يعتبرون لمعاوية أكثر مما لسائر المسلمين من الحق في بيت المال، وادعاؤه التملك له، ونسبته إلى نفسه، وتصرفه الشاذ في تبذيره، كلُّ ذلك لا يجعله مالكاً حقيقياً، وما دام المال للمسلمين لا لخصمهم، وكانوا هم يملكون منه أكثر مما يملك غيرهم بآية

(١) العقد الفريد ج ٢: ٩٤-٩٥.



أُمُّ الْحُجَّةِ عَلَيْهَا السَّلَام

المحقق التستري (رحمته الله)

فالمشهور أنَّها أمُّ ولد، فعن الرضا عليه السلام في إخباره بالقائم عليه السلام ابن سيِّدة الإمام ^(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في أخبار كثيرة: **بأبي ابن خيرة الإمام** ^(٢).

ونقل الشهيد قولاً كونها غير أم ولد وأنها «مريم بنت زيد العلوية» ^(٣) ويردّه أخبار كثيرة في كونه عليه السلام ابن أمة، ما تقدّم وغيرها، ومنها: عن الصادق عليه السلام في ردّ من ادّعى القائيّة في محمّد بن عبد الله «أو لم يعلموا أنّه - أي: القائم - ابن سبيّة؟» ^(٤) وكان ذلك من الاشتهار بمكان يعلمه بنو أميّة، فلم يكثرث مروان بن محمّد بادّعاء محمّد بن عبد الله، لذلك.

واختلف في اسمها، فقال المفيد: «نرجس» ورواه الإثبات والإكمال في خبر موسى بن محمّد وخبر المطهّري ^(٥).

وقال أبو سهل النوبختي: «صيقل» ^(٦)

ورواه الإكمال في خبر أبي عليّ الخيزراني ^(٧). وفي خبر غياث بن أسيد «ريحانة» ويقال لها: «نرجس» ويقال: «صيقل» ويقال: «سوسن» ^(٨) ورواه في الغيبة ^(٩).

وفي خبر آخر «مليكّة بنت يشوعا» ^(١٠). وفي آخر «سوسن» ^(١١) وعن ابن الخشاب: قال لنا أبو بكر الدارع: وفي رواية أخرى حكيمة ^(١٢).

ثم إنَّ النجاشي قال في ترجمة محمّد بن عليّ بن حمزة العبّاسي العلوي: وفي داره حصلت أمّ صاحب عليه السلام بعد وفاة الحسن عليه السلام... الخ ^(١٣) وهو دالّ على بقائها بعد العسكري عليه السلام.

وروى الإكمال موتها قبله عليه السلام، فروى عن أبي عليّ الخيزراني: أن أبا محمّد عليه السلام حدّثها بما جرى على عياله، فسألته أن يدعو

الغيبة: ص ١٦٤.

(٧) كمال الدين: ص ٤٣١ و ٤٣٢، وفيه: صقيّل.

(٨) كمال الدين: ص ٤٣١ و ٤٣٢، وفيه: صقيّل.

(٩) لم نظفر برواية غياث في غيبة الشيخ. (١٠) كمال الدين: ص ٤٢٠.

(١١) الغيبة للشيخ: ص ١٤١.

(١٢) نقله عنه في كشف الغمّة: ج ٢ ص ٤٧٥.

(١٣) رجال النجاشي: ص ٣٤٧، الرقم ٩٣٨.

(١) كمال الدين: ص ٣٧٢.

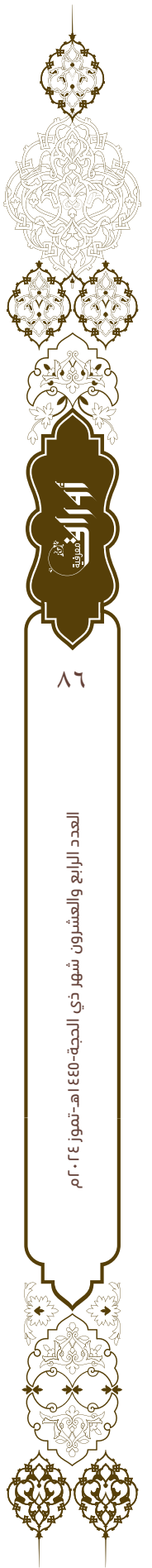
(٢) لم نظفر إلا بخبر، قاله أمير المؤمنين مخاطباً للحسين عليه السلام بلفظ: «بأبي أنت يا أبا ابن خيرة الإمام» راجع البحار: ج ٥١ ص ١١٠.

(٣) الدروس: ج ٢ ص ١٦.

(٤) في البحار: ج ٤٢ ابن الستّة.

(٥) الإرشاد: ص ٣٤٦، إثبات الوصيّة: ص ٢١٩، كمال الدين: ص ٤٢٤ و ٤٢٦.

(٦) عنه في غيبة الشيخ بلفظ «صيقل»



لها، بأن يجعل ميتتها قبله، فماتت قبله في حياة أبي محمد عليه السلام وعلى قبرها لوح عليه مكتوب: هذا قبر أمّ محمد.

واختلفت الأخبار أيضًا في كونها من جواري حكيمة التي ربّتها وأهدتها إلى العسكري عليه السلام أو من أسراء الروم واشتراها الهادي عليه السلام والمفهوم من المسعودي الأوّل.

قال في الإثبات: روى لنا الثقات من مشايخنا: أنّ بعض أخوات أبي الحسن عليّ بن محمد عليه السلام كانت لها جارية ولدت في بيتها، وربّتها، تسمّى (نرجس) فلمّا كبرت وعبلت دخل أبو محمد عليه السلام فنظر إليها فأعجبته، فقالت له عمّته: أراك تنظر إليها؟ فقال صلى الله عليه وآله: **إني ما نظرت إليها إلّا متعجبًا أما إنّ المولود الكريم على الله جلّ وعلا يكون منها،** ثم أمرها أن تستأذن أبا الحسن عليه السلام في دفعها إليه، ففعلت فأمرها بذلك^(١).

وروى في خبر آخر عن جماعة من الشيوخ بإسنادهم عن حكيمة كيفيّة تولّده عليه السلام (إلى أن قال) قالت، فقلت له: ممّن يكون هذا المولود يا سيّدي؟ فقال: من جاريتك نرجس^(٢).

وروى الإكمال أيضًا في باب مولده عليه السلام

(١) إثبات الوصيّة: ص ٢١٨.

(٢) إثبات الوصيّة: ص ٢١٩.

بإسناده عن حكيمة قالت: كانت لي جارية يقال لها: «نرجس» فزارني ابن أخي فأقبل يحدّق النظر إليها... الخبر^(٣).

ومال الصدوق إلى الثاني، فقال في الإكمال باب (ما روي في نرجس أمّ القائم عليه السلام): واسمها «مليكة» بنت يوشع^(٤) بن قيصر الملك. وروى بإسناده عن بشر بن سليمان النخّاس بعث الهادي عليه السلام له بشرائها^(٥) وهو خبر طويل، وإن روي في باب مولده عليه السلام ما يعارض هذا، كما تقدّم.

وهو المفهوم أيضًا من المفيد حيث ذكر زيارة لها وفيها: «المخطوبة من روح الله الأمين ومن رغب في وصلتها سيّد المرسلين»^(٦)، والظاهر أنّ الزيارة إنشاء منه أخذًا من خبر النخّاس المتقدّم.

والظاهر أصحّيّة القول الأوّل وأصحّيّة خبره.

(٣) كمال الدين: ص ٤٢٦.

(٤) في المصدر: يشوعا.

(٥) كمال الدين: ص ٤١٨.

(٦) نقل المجلسي عن المفيد في البحار:

ج ١٠٢ ص ٧٢.

خطبة الغدير

السيد علي الحسيني الميلاني



إنَّ من حقائق التاريخ واقعة غدير خم ...
وخطبة النبيِّ الكريم ﷺ في ذلك اليوم العظيم
... غير أنَّنا لم نعثر على رواية كاملة لخطبته ﷺ
إلَّا في كتاب (الاحتجاج) ... وفي هذه الخطبة
أمر بتدبر القرآن والرجوع في تفسيره إلى أمير
المؤمنين عليه السلام حيث قال: «معاشر الناس تدبروا
القرآن، وافهموا آياته وانظروا إلى محكماته، ولا
تتبعوا متشابهه، فوالله لن يبين لكم زواجه
ولا يوضح لكم تفسيره إلَّا الذي أنا آخذ بيده
ومصعده إليَّ وشائل بعضده ومعلمكم أن: من
كنت مولاه فهذا علي مولاه. وهو علي بن أبي
طالب أخي ووصيي، ومولاته من الله عز وجل
أنزلها علي»^(١).

يَوْمُ الْغَدِيرِ
أَفْصَحَ اللَّهُ لَكُمْ



إنَّ أمر المسلمين بتدبر القرآن وفهم آياته
والأخذ بمحكماته دون متشابهاته يستلزم
أن يكون القرآن مؤلفاً مجموعاً موجوداً في
متناول أيديهم، بمحكماته ومتشابهاته. غير أنهم
مأمورون -للقوف على أحكامه التفصيلية
وأسواره ودقائقه التي لا تبلغها العقول-
بالرجوع إلى خليفته ووصيه وتلميذه أمير
المؤمنين والأئمة الطاهرين من ولده عليه السلام.

[التحقيق في نفي التحريف عن القرآن]

(١) الاحتجاج: ج ١، ص ٦٠.





كلمة في خروج المواكب بحالاتهم المعلومّة المُشجّبة واختراقهم السكك والشوارع

العلامة محمد علي الأوردبادي

وما برح ذلك مطّرداً بين الشيعة منذ عشرة
قرون.

وأوّل من سنّه وأمر به (معزّ الدولة)
و(ركن الدولة) البويهيّان، فكانت المواكب
تخرج بأمرهما ليلاً - ومعهم المشاعل - فتعود
بغداد وفجأها ضجّة واحدة، راجع (كامل)
ابن الأثير^(٣).

فعلّ البويهيّان ذلك والزعامة الدينيّة
والوجهة الروحيّة - يومئذٍ - لعمد المذهب
ودعائمه: كالشيخ المفيد، والسيدّين^(٤)، وابن
قولويه، وأضراب هؤلاء.

وما كانت الشيعة - ملوكها وسُوقتها^(٥) -
لتعدو لهم إشارة، ولا لتخالف لهم أمراً، وما
كانوا ليقرّروهم على الباطل.

لا ريب في رجحان ذلك، لا سيّما بعدما
تحقّق لديك في أصل اللّدم، وأنّه من أعظم ما
يتقرّب به إلى الله زلفى.

وذكر العلامة الشيخ زين العابدين
المازندرانيّ في (ذخيرته): أنّ المشارك معهم،
والذي يمضي معهم؛ كل منهما مثاب
ومأجور^(١).

هذا مع قطع النظر عن الرقة والبكاء
والإبكاء، فإن كلّاً منهما مطلوب على حدة...
إلى آخره.

وعدّ في (شفاء الصدور) - ممّا هو مشروع
راجح في الشريعة المطهّرة - ما يقع في بلاد
الشيعة؛ من المظاهرات يوم عاشوراء.

وعدّ منها: نشر الأعلام، وخروج
المواكب، واللطم، والنوح، وأمثال ذلك^(٢).

(١) ذخيرة المعاد:

(٢) شفاء الصدور: ج ٢، ص ٣٠٩.

(٣) الكامل في التاريخ: ج ٨، ص ٥٤٩.

(٤) يعني: الرضي والمرتضى رحمهما الله.

(٥) السوق: الرعيّة من الناس.

طبقات الناس، وأشرافهم، وطلبة العلم-
ما لا تُستنزَر عدَّتْهم.

ولو وقفت موقف النّصفَة؛ لما وجدت
فارقاً بين مواكب اللّطم، ومواكب الزّوّار

- من الأعراب- في «هوساتهم»^(٤)
التي ذكر الفاضل الحليّ: أن الوحيد
البهبّهاني كان يختلط بهم تزلفاً إلى الحسين
سلام الله عليه، وهو مجدّد المذهب في القرن
الثالث عشر.

إذا عطفت النظر إلى الأمصار جميعاً-
والمواكب الحسينيّة تطرّق فيها دُور العلماء،
وهم بين مساعدٍ لهم بهال، ومنيلهم بإعداد،
وناشجٍ^(٥) ومستعيرٍ معهم- علمت أن
أعمالهم تلك لا تبارح مرضاة زعمائهم
الدينيّين.

وهذا النجف- قبة الإسلام- الذي
هو مثال كلّ جدّ ونشاط في التذكارات
الحسينيّة، التي منها هذه المواكب، ولم تزل
هي بمنتدى ومجمع من أساطين الدين في
دورهم، وفي الصحن المقدّس.

(٤) مصطلح عراقي، معناه الأهازيج الشعبيّة
التي يردها الزوّار من أبناء جنوب العراق
ووسطه.

(٥) نشجّ الباكي: غصّ بالبكاء في حلقه من
غير انتخاب.

والسيدّ الرضيّ هو الذي أدخل نفسه
في زمرة الأعراب يوم عاشوراء، سنة زيارته
لجده الحسين (عليه السلام)- وهم يلطمون وينوحون
في هجمتهم عدّواً على الحائر الحسينيّ
صلوات الله عليه- وأنشأ مقصورته
السائرة:

[من الرّمل]

كربلا لا زلتِ كرباً وبلا
ما لقي عندك آل المصطفى^(١)
وبلغني أن العلّامة صاحب
(الرياض)^(٢) هو الذي نضد موكب
العطّارين بكربلاء- المعروف إلى اليوم
بحسن النية، وشدة الإخلاص، وإحكام
اللّدم حين ظعنهم^(٣) واقامتهم- في ليالي
عاشوراء.

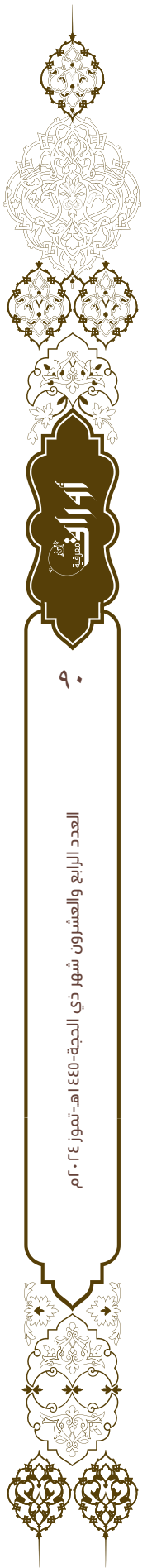
وكان السيّد- بنفسه- يحمل المشعل
أمامهم، ويلطمُ معهم من العلماء والفضلاء
عدد غير يسير.

وإلى اليوم يختلط معهم- من سائر

(١) ديوان الشريف الرضي: ج ١، ص ٢٠،
قالها وهو بالحائر الحسيني يرثي جده سيّد
الشهداء (عليه السلام).

(٢) هو السيّد علي بن محمد بن علي الطباطبائي
الحائريّ، المتوفى سنة (١٢٣١) صاحب
كتاب (رياض السائل في بيان أحكام الشرع
بالدلائل).

(٣) الظعن: السير.



وكان العلامة المحقق الفاضل الشرايبي- أيام رئاسته- له موكب خاص به، حافل بالفضلاء من أهل العلم، يقدمهم هو رحمه الله، يخرج من داره ويأتي الحضرة العلوية صلوات الله عليه، ويدور حول الحرم الشريف.

وكذلك المحقق المدرّس الشهير الحاج الميرزا حبيب الله الرشتي، فكان يخرج في موكبه، ويخترق الأزقة إلى الصحن الشريف.

وكان إذ ذاك لأهل العلم موكب آخر يقدمهم العلويون، وأمامهم العلامة السيّد محمد بحر العلوم، والسيّد حسين القزويني، ثم بعدهم سائر الطلبة، ويقدمهم العلامة الشيخ محمد طه نجف رحمه الله تعالى.

وكان الشيخ المقدّم الشيخ محمد حسن آل ياسين يجلس في الفسحة أمام داره بالكاظمية، فتأتيه المواكب شرّعاً، وهو يكي بندبتهم.

ورأيت- أنا- شيخ فقهاء عصره، شيخ الشريعة الأصفهاني^(١) أمام موكب العلماء ليلة عاشوراء في النجف الأشرف.

لا أطيل المقام بتعداد الأسماء والأفعال، وإنّما ذكرت هذه النبذة إعلاماً بأن خروج المواكب ما برح- منذ أسّس- على طريق مهّيع عند العلماء، وأساطين الدين.

ولا أحسب أن ذا مُسْكة^(١) يحكّم- في أصله- على أصالة الإباحة شيئاً، ولا فيه - بالعناوين الثانوية- على تأكّد الاستحباب حكماً.

ولو كان اللَّطْم مقصوراً على ما وراء الستار، مُحْتَكراً^(٢) بين حيّطان الدور؛ إذا لخسرت الشيعة كثيراً ممّا ترومه من ذلك الاحتفال؛ من عموم الدعوة، وشمول التذكير، حسب ما سلف ممّا آنفأ.

لو لم يكن لنا إلّا جواز أصل اللّدم، أو رجحانه؟ لكفانا مؤونة الحجاج في إخراجه إلى الشوارع والجوّد، فإنّه- حيث جاز- لم يقصر حكمه على مكان خاصّ، فهو مطلق في سائر الحالات والمحال.

وإذا كانت دلائل استحبابه مطلقاً- لدى السير والخروج إلى محاشد الناس- أكّد وأبلغ؛ فلا شكّ في تأكّده عنده.

بالله عليك، اعتبر وصيّة مولانا الباقر لابنه الإمام الصادق^(عليه السلام) - المروية في (الكافي)-: أن يوقف من ماله كذا وكذا؛ لنوادب ينْدُبْه عشر سنين بمنى؛ أيام منى^(٣).

(١) المُسْكة: العقل.

(٢) مُحْتَكراً: محبوس.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ١١٧/ ح أ، تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٣٥٨/ ح ١٠٢٥.

وفي رواية أخرى: أنه أوصى لذلك
بثمانائة دينار^(١).

فهلّا أوصى سلام الله عليه بحجّ، أو
صدقة عنه، بها؟

وما هو مقدار الندبة؟

وماذا يصيب منها الفقيد؟

وإن كان- ولا بدّ- فهلّا أوصى أن
يُنْدَبَ في النوادي الخاصّة، وفي ملاء من
شيّعته؟

لو أعطيت النّصفَ حقّها؛ لقلت:
إنّه ﷺ أراد بذلك إشهار فضائله، وإدامة
ذكره، وتذكير العامّة بأمره وامامته، وذكرى
سلفه، ولذلك حاول أن النوادب يندبته
بمنى، أيّامها.

محشد عام للمسلمين، تأتيها الناس
من كلّ فجّ عميق، وينسل^(٢) إليها من كلّ
حدبٍ، وليس لهم متدى يجمع شتاتهم غير
هذا الموقف، فإذا كان هنالك أمر يهتمّ به؛
تسرّب حديثه إلى أرجاء العالم، وسارت
الركبان.

وكذلك أمّر الحسين ﷺ وتذكاراته،
فإنّ الغرض من الإشهار بها ليس هو
استدرار الدموع والبكاء فحسب، فإن

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢١٧ / ح ٤، من لا يحضره

الفقيه: ج ١ ص ١٨٢ / ح ٤٦٥.

(٢) أي: يُخرَج إليها وتُقصد بسرعة.

للشيعة فيها غايات هي أرقى- وأولى أن
تتبّث- من ذلك، ألا وهي: تذكير الناس
بالحسين، وامامته، وسلفه، وأخلافه.

وأن ديناً فداه مثل الحسين ﷺ بنفسه
هو أولى أن يعتنقه الحرّ، ويذلّ دونه النفس
والنفس.

وارشادهم إلى أن من يعتقد للحسين
إمامةً فهو أولى أن يقتصّ أثره في أخلاقه
وآدابه، واقدامه واحجابه.

وتذكيرهم بما شجروا بين أهل
البيت ﷺ وشانئهم، من الخلاف.
وموقف هؤلاء من الدين، وأولئك من
الكفر. إلى غيرها من الغايات الكريمة.

وهل تتسنّى لهم تلك الأغراض لو
قصوروا بها على النوادي والمآتم، من دون أن
يشهد كلّ أحد في ملاء من الأشهاد؟ لا... لا
إنّي واثق بحريّة ضميرك أنّك إذا تلوت
ما سطرناه إلى هنا؟ لا يعتريك الشكّ في
مجازفة الرجل في قوله: «الشريعة المقدّسة
والعقل السليم قاضيان بأن اللّطم محلّه
المآتم، لا الطرق»... إلى آخره.

هّب أنّه- بفضل شيخوخته وطعنه في
السنّ- يحسب أن غيره لم يبلغ من العقل
مبلغه، لكنّ أين ذلك الدليل الشرعيّ
الذي خفي على علماء الدين، ومصلحي

الأمّة- منذ ألف سنة تقريباً- ولا وصل إليه باعنا؟!!

على أن الاختبار- الذي به يكرم الرجل أو يهان، وبه يمتاز الصدق من المين^(١)، والأمانة من الميل- لم يكشف حتى الآن عن رجحان مبلغه من العلم، على غيره.

في آية آية- أم أيّ حديث- ذكر فيها اللطم؛ فعين له محلّ؟

أم آية قاعدة أصوليّة اقتضت ذلك؟ غير أصالة الإباحة القاضية في سائر أقسامه. حسب أن تلك الكلمات الفارغة أورثت عند البسطاء تهويلاً، ولكن ماذا الذي يُتافه^(٢) به العقلاء من العوامّ في نسبة ذلك إلى العقل السليم؟

وهل له متدخّ غير رفع الصوت، والإيحاء بالعصا واليد، وتحريك عكّازة التجهيل، وقعقة الشّنان^(٣)؟

نعم، ربّما يغالط بها سبقه إليه صاحب كتاب «الدين والشؤون»: من أن تلك المواكب مؤتلفة- في كلّ مكان- من

(١) المين: الكذب.

(٢) المتأفّهة: مفاعلة من تَفّه الرَّجُلُ: إذا كان قليل العقل.

(٣) في المثل: «ما يُقَعِّعُ لي بالشّنان»، القعقة: حكاية صوت السلاح ونحوه. والشّنان: جمع الشّن وهو الجلد البالي. ومعنى المثل أنه لا يُخدَع ولا يُروَّغ. انظر لسان العرب: ج ٨ ص ٢٨٦.

أوباش الناس وساقتهم، ويرأس كلّاً منها واحد من أكابرهم، وهم يأخذون حذرهم وأسلحتهم؟ من عصيّ وقامات، وأخيراً طَفَفُوا يأخذون معهم المسدّسات والبنادق، فتجري بينهم- حينما التقت الفتان- حملات تؤدّي إلى الضرب والجرح، وكثيراً ما احتدم بينهما القتال، فيثير ذلك الشّحناء والضغائن في القلوب حتى الأبد^(٤)... إلى آخره.

ويشاركه في المعنى كلام هذا الفاضل المعاصر، لكنني أضرب عنه صفحاً، فقد كفانا الفاضل الحليّ مؤونة الجواب عنه.

لكنني لا ألوم هذا الرجل على ما قذف به أولئك الأقوام- الذين يربو عددهم على الملايين، في سائر أقطار الشيعة- بأنهم أوباش الناس وساقتهم، ولم يخش بوادٍ ما اقترفه- في غده- من إهانة المؤمنين، والوقية فيهم، وهتك حرماهم. ولقد شاهدتُ وشاهدتهُ غيري في بلاد كثيرة- في العراق وإيران- أن تلك المواكب منضّدة من سائر طبقات الناس- من مقدّميههم، وأوساطهم، وساقتهم- شأن كلّ محتشدٍ

(٤) رسالة «دين وشؤون»، تأليف الحاج الشيخ أسد الله المامقاني، ألفها سنة ١٣٣٦، وطبعها في اسطنبول، ثم أعيد طبعها في طهران سنة ١٣٧٥، انظر الذريعة ج ١١ ص ١٨٥ / الرقم ١١٤٣.

عام، وأن الحبَّ الحسيني ﷺ وما استَفَزَّ
الناس من لوعة ذلك المصاب؟ لا يدع
شريعاً لا يستخفُّه النزوع إلى أمثال تلك
الأعمال.

ولا ألومه بما قَرَفَهُمْ^(١) به - جميعاً - من
حملهم السلاح للعيث والفساد.
ولقد شاهدتهم وشاركتهم في عملهم،
وفيهم الصلحاء والأبرار.

ولَئِنْ اختلط بهم مَنْ فَمِنْ غير
سِنْخُهم؟ فذلك الشأن في المجتمعات
العامَّة، كالْحَجِّ، والزيارة، والمآتم الحسينيَّة
صلوات الله عليه.

لكنَّ الذي يهَوِّنُ الخطب: أن الغاية
واحدة، والقصد واحد، وإن اختلفت
النزعات والمشارب.

لكنِّي أقول: إن مَصَبَّ الكلام يكون
تارة العمل بما هو، وطوراً بلحاظ فاعله،
وأنَّما بما يَطْرَأُ عليه من العوارض الخارجيّة.

أمَّا إذا كان الوجه هو الأول؛ فلا شكَّ
أن ما سرده من التموهيات الباردة لا يمسُّ
بشيءٍ ممَّا نريد - من حسنِ نفس العمل
ورجحانه - كما أسلفنا ذلك بأوفى وجه.
وأمَّا على الثاني؟ فإذا ثبت رجحان الفعل
ومحبوبيَّته؛ فلا نبالي بفاعله أيَّ إنسانٍ كان.

(١) قَرَفَهُ بكذا: عابه أو اتهمه.

هَبْ أن له أَعْمالاً ذميمة، لكن ماذا
الذي يَفِدُ منها حسنَ عمله هذا، أو يشوِّه
جماله؟

نعم، إذا كانت سيئاته مادَّة وأصلاً
لإحسانه - كأن يسرق ويتصدَّق، أو تزني
وتبني - فعند ذلك يقال له:

[من الطويل]

لِكَ الْوَيْلِ لَا تَزْنِي وَلَا تَتَصَدَّقِي^(٢)

وسرى اللوم منه إليه
وأما إذا لم يكن هناك توقف وإناطة؛
فلكلِّ من الفعلين حكمه، من مدح وذم،
وثواب وعقاب.

وقد يؤيِّد الله الدين بأقوام لا خلاق
لهم^(٣)، وما نحن فيه من هذا القبيل، فلا
يضرُّنا لو كانت المواقب مؤتلفة من ذنابي
الناس^(٤)، غير المبالين بالمآثم والجرائم.

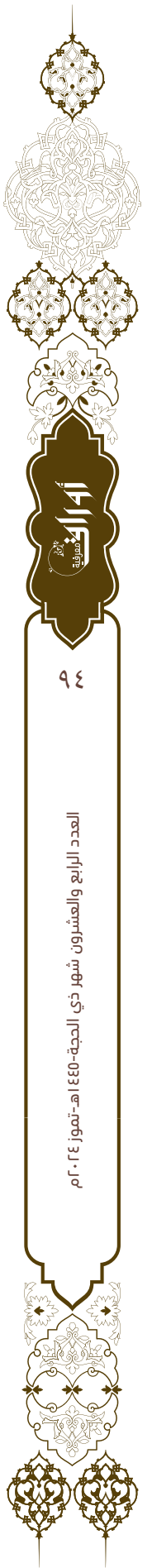
(٢) كتب أمير المؤمنين ﷺ بهذين البيتين إلى
معاوية؛ لما سمعه يبني مسجداً:

سمعتك تبني مسجداً من خيائَةٍ
وأنت - بحمد الله - غير موفق
كمُطعممة الأيتام من كدِّ فرجها

لِكَ الْوَيْلِ لَا تَزْنِي وَلَا تَتَصَدَّقِي
انظر بحار الأنوار: ج ٣٤ ص ٤٣٠ - ٤٣١ /
ح ٦٩.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ١٩، آخر الحديث ١،
تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٣٤، وفيهما بلفظ:
«إن الله ينصر هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم».

(٤) أي: أتباعهم وسفلةهم.



وأما القول في الوجه الثالث - وهو الذي طمّح إليه «الصائل الجائل»^(١) - فإن المحرّم هو المحرّم، وهو ذلك العارض؛ دون معروضه.

والذي يحذو خطّة الإصلاح يجب عليه تجزئة تلك الأعمال، وإزاحة الفاسد منها؛ بالعظات البالغة، والنصائح الكافية، والحكمة العملية، والمجادلة الحسنة؛ مع المحافظة التامة على إبقاء الصالح منها، والحثّ إليه، لا سيّما في مثل الشعار الحسينيّ الذي هو الجامع الوحيد بين شتات الشيعة، والمانع لهم عن الزيغ والإلحاد، والسبب الوحيد لتثبيت القلوب على الولاية والإيمان.

لا أن يقابل الجميع بما هو أدهى وأمر؛ من هزء، وازدراء وتقحم^(٢)، حسب أنّه يمسّ بكرامة هذا الشعار، وقد ذهب عليه أنّه لم يهدّ إلا ركنه، ولا أسقط إلا نفسه، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾^(٣).

على أنّ ما ذكره - من وقوع التلادم والتلاكم بين أهل محلّتين - ليس بحيث يعدّ لازماً عادياً لخروج المواكب، ولا مقصوداً

لأهلها حيث يخرجون، حتّى يحكم عليها بحكمه، ويتحكّم «الصائل»^(٤) بتهويلاته.

نعم، ربّما يقع في بعض المواكب - في نحو من عشر سنين مثلاً - بعض الشيء من بعض البسطاء - بلا قصد له من أوّل الأمر، وبلا رويّة - وكثير مثله في كلّ اجتماع عامّ؛ كمواسم الحجّ، ووقفات الزيارات، والجماعات.

[موسوعة العلامة الأوردبادي]

(١) انظر كلامه في كتابه (صولة الحق على جولة الباطل)، المطبوع ضمن رسائل الشعائر الحسينيّة: ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٠.

(٢) أي: احتقار.

(٣) سورة طه: الآية ١٢٧.

(٤) انظر كتاب (صولة الحق على جولة

الباطل) المطبوع ضمن رسائل الشعائر

الحسينيّة: ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٠.

الزقاق الحماة



السيد محمد هادي الخрсان

فتصلح النفس وقواها، وأمّا إذا لم يغلب العقل عليها فيحصل التدافع بين هذه القوى وبين العقل ويؤدّي هذا التدافع إلى هلاك النفس^(٢)، ويحسن بنا التعرّف على قوى النفس وهي أربع قوى:

١ - قوّة عقلية (عاقلة) ملكية:

وظيفتها إدراك حقائق الأمور والأمر بالأفعال الجميلة والنهي عن الصفات الذميمة. والتميز بين الخير والشرّ. وفائدتها: السيطرة على القوى الثلاث الأخرى للنفس.

٢ - قوّة غضبية سبعية:

وظيفتها صدور أفعال السباع كالغضب

(٢) جامع السعادات، (م. س.)، ص ٦٥ - ٦٦، بتصرّف.

بما أنّ الغاية من دراسة علم الأخلاق هي صدور الأفعال الحسنة بسرعة وبلا رويّة وتكون هيئة راسخة في النفس، وبهذا يتمّ تهذيب النفس والذي يعني تصفية النفس من الرذائل وتحليتها بالفضائل، وبعد ذلك تحصل التجلية وهي تلقّي النفس للفيوضات الإلهية واستعدادها للأنوار الربّانية وصدق الله وهو أعزّ قائل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(١). فحين يغلب العقل على القوى الثلاث للنفس وهي:

١ - القوّة البهيمية.

٢ - القوّة السبعية.

٣ - القوّة الشيطانية.

تكون هذه القوى الثلاث مؤثّرة بأمّره

(١) سورة الشمس: الآية ٧-١٠.

والبغضاء والأذى. وفائدتها: السيطرة على القوتين الشهوية والشرطانية حين لا يستجيبان للقوة العاقلة بسهولة، وذلك أنها تثير الغيرة والحمية فتتم السيطرة على الشهوة أو الأذى، مثلاً كما في الامتناع عن ممارسة شهوة البطن أو الفرج أو الأذى من باب الحمية أو الغيرة على نفسه أو عرضه.

٣ - قوة شهوية بهيمية:

وظيفتها صدور أفعال البهائم كالحرص (الاهتمام المبالغ فيه) على شهوتي الفرج أو البطن. وفائدتها: بقاء البدن وبه يحصل كمال النفس؛ إذ مع سقم البدن أو تلفه لا يمكن تحصيل كمال النفس.

٤ - قوة وهمية شيطانية:

وظيفتها، تحصيل وجوه المكر والحيل والبحث عنها والتوصل إلى الأغراض المقصودة للإنسان بالخدع. وفائدتها: إدراك المعاني الجزئية، واستنباط الحيل والوظائف توصلاً للمقاصد الصحيحة.

وهذه القوى الثلاث الأخيرة هي المقصودة: بالنفس المطمئنة واللّوامة والأمانة بالسوء التي ورد ذكرها في القرآن الكريم كوصف للنفس الإنسانية؛ وذلك على أساس ملاحظة دور هذه القوى الثلاث ودور القوة العاقلة: فإن غلبت

القوة العاقلة هذه القوى الثلاث سميت النفس بالمطمئنة لسكونها تحت الأوامر والنواهي في الشريعة الإسلامية. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۖ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۖ وَادْخُلِي جَنَّاتِي ۖ﴾^(١)، فيكون جزاؤها الجنة.

وإن كانت القوة العاقلة مغلوبة وكان بين القوى الثلاث تنازع وتدافع صارت النفس الإنسانية مغلوبة بارتكاب المعاصي؛ حيث أن كل قوة من القوى الثلاث إذا لم تنضم تحت رعاية القوة العاقلة لا يمكن السيطرة عليها ويمكن حينئذ صدور المعاصي من الإنسان، فإن حصلت حالة اللوم والندامة للنفس بسبب صدور المعاصي سميت النفس باللّوامة قال تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۖ﴾^(٢). وإن لم تحصل حالة اللوم وصارت النفس مذعنة لشهواتها سميت النفس بالأمانة بالسوء قال تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ۖ﴾^(٣).

فعلى الإنسان العاقل أن يجهد لتغليب القوة العاقلة ولا ييأس من رحمة ربه تعالى وشموله برعاية الله عز وجل له^(٤) فالله تعالى

(١) سورة البلد: الآية ٢٧-٣٠.

(٢) سورة القيامة: الآية ٢.

(٣) سورة يوسف: الآية ٥٣.

(٤) جامع السعادات، (م. س. ج. ١، ص ٦٢

هو القائل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١). ففي

تفسير التبيان: يعني جاهدوا الكفار بأنفسهم وجاهدوا نفوسهم بمنعها عن المعاصي، وإلزامها فعل الطاعة لوجه الله، ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: نرشدكم السبيل الموصل إلى الثواب وقيل معناه لنوفقهم لازدياد الطاعات فيزداد ثوابهم...، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: ناصر الذين فعلوا الأفعال الحسنة، ويدفع عنهم أعداءهم^(٢).

وجاء في الحديث النبوي: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»^(٣)، كما جاء فيه: «أَنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا»^(٤) والنفحة هي العطية.

والخلاصة: أَنَّ عمل الإنسان بما علمه من التكاليف الإلهية يورثه علم ما لم يعلمه من المعارف فتفتح له أبواب المعرفة التي كانت مغلقة عليه ولأجل تحصيل هذه الحالة لابد من تطهير القلوب، لتكون محلاً وأهلاً لعطايا الله ونفحات الرب

- ٦٤، بتصرّف.

(١) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

(٢) التبيان للطوسي: في تفسير القرآن، (م).

س.، ج ٨، ص ٢٢٦.

(٣) تفسير الصافي للفيض الكاشاني، مط،

آرمان، طهران، ١٤١٥ هـ، ج ٤، ص ١٢٣.

(٤) جامع السعادات للنراقي، (م. س.)،

ج ١، ص ٤٤.

تعالى شأنه. فالرحمة الإلهية مبذولة لمن يريد الحصول عليها ولا تتوقّف عند فريق دون آخر، ولكنها مشروطة بشرط صفاء القلوب من الغشاة والكدورة الحاصلتين بفعل المعاصي وبتأثير الرذائل عصمتنا الله جميعاً من فعل المعاصي وجنبنا الأخلاق الرذائل إنه سميع مجيب.

فالعلاقة بين الأخلاق وتهذيب النفس علاقة مطّردة، فكلّما كانت درجة تطبيق الأخلاق عالية كان تهذيب النفس عالياً، كذلك والعكس صحيح إلّا أَنَّ الفرق في مدى الأثر المرجو من كلّ منهما فداثرة أثر الأخلاق تتسع لسلوك الفرد والمجتمع والهدف منها جعل السلوك البشري حميداً، بينما الأثر من تهذيب النفس يقتصر على الفرد نفسه؛ لأنّه المعني بعملية التهذيب.

[محاضرات في علم الأخلاق]

حماية الوطن من الغزو الخارجي

الشيخ باقر شريف القرشي



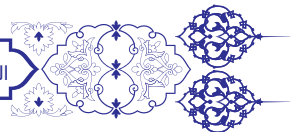
كابوس الاستعمار ينهب ثرواتها ويهدم معالم
حياتها وذلك بمرأى من المسلمين ومسمع فلم
يهبوا لنصرتهم ، ولم يقوموا بحمايتهم .

وكما يجب على الدولة الإسلامية أن تقوم
بحماية الوطن من الاحتلال العسكري كذلك
يجب عليها أن تقوم بحمايته من الغزو الفكري
والاحتلال الثقافي، فإنَّ خطر ذلك لا يقل عن
خطر الاحتلال العسكري وقد وفدت إلى بلاد
المسلمين - بعد احتلالها وسقوطها بأيدي الغزاة
المستعمرين - جملة من المبادئ المادية وهي
تدعو إلى مسخ الحياة الإسلامية والقضاء على
جميع أرسدها الأخلاقية والدينية، فيجب على
الحكومات المتحررة القائمة في بلاد المسلمين أن
تقضي على هذه المبادئ لتتخذ بلادها من شرورها
وويلاتها.

[النظام السياسي في الإسلام]

النظام السياسي في الإسلام

ويجب على الدولة التي تتبنى الإسلام
أن تقوم بحماية الوطن من الغزو الخارجي
والاحتلال العسكري، وعليها أن توفر جميع
القوى العسكرية لحماية بلادها وصيانتها من
الاعتداء عليه، وكذلك يجب على عموم المسلمين
أن يهبوا لجهاد من يدهم المسلمين من الكفار
، ويتأكد الوجوب على الأقرب فالأقرب ولا
يجوز السكوت عن ذلك ، ولو كانت للمسلمين
دولة موحدة ذات نفوذ وقوة لما تمكن اليهود
على احتلال فلسطين، وإقامة دويلة لهم في قلب
الوطن الإسلامي ، وكما ضاعت فلسطين ضاع
غيرها من الأقاليم الإسلامية، ودخلت تحت





فضل المجتمع الإسلامي

السيد مهدي الصدر

باركها الله واصطفها بين
العقائد والأديان.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ
دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
الْخَاسِرِينَ﴾^(١).

وكان فذاً في شريعته الغراء، تلك التي
تكاملت بها شرائع السماء وبلغت قمة الوحي
الإلهي ما جعلها الشريعة الخالدة عبر الحياة،
والدستور الأمثل للبشرية جمعاء.

وكان فذاً في أخلاقه، فقد ازدهرت
في ربوعه القيم الأخلاقية وتكاملت حتى
أصبحت طابعاً مميزاً للمسلم الحق، كما وصفه
الرسول الأعظم ﷺ بقوله: «المؤمن من أمنه

كان المجتمع الإسلامي إبان رُقيّه وازدهاره،
نموذجاً فذاً ونمطاً مثالياً بين المجتمعات العالمية
المتحضرة، بخصائصه الرفيعة، ومزاياه العُزْ
التي بوّأته قمم المفاخر والأعجاد، وأنشأت من
أفراده أسرةً إسلاميةً مرصوفة الصف، خفاقة
اللواء مرهوبة الجانب، موصوفة بالفضائل
والمكرّمات.

لقد كان فذاً في عقيدته التي حوت أسرار
التوحيد، وأوضحت خصائص الإلهية
وصفاتها الحقّة، وجلّت واقع النبوة والأنبياء،
وفصلت حقائق المعاد، وما يجيش به من صور
النعيم والعذاب.

حوت كلّ ذلك، وصوّرته تصويراً رائعاً
يستهوّي العقول والقلوب ويقنع الضمائر حتى

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

الله ﷺ: مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ
فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ»^(٣).

وعنه ﷺ قال: «قال رسول الله ﷺ:

الخلق عيالُ الله، وأحبُّ الخلقِ إلى الله من
نفع عيالِ الله، وأدخل على بيتٍ سروراً»^(٤).

[أخلاق أهل البيت]

الناسُ على أموالهم ودمائهم، والمسلم من
سلم المسلمون من يده ولسانه، والمهاجر
من هجر السيئات»^(١).

قال أمير المؤمنين ﷺ: «يا بني، اجعل
نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك، فأحب
لغيرك ما تحبُّ لنفسك، واكره له ما تكره
لها، ولا تظلم كما لا تحبُّ أن تُظلم، وأحسن
كما تحبُّ أن يُحسن إليك، واستقبح من
نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من
الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل
ما لا تعلم، وإن قل ما تعلم، ولا تقل ما لا
تحبُّ أن يُقال لك».

وكان فريداً في تأخيه: فقد أعلن
مبدأ المؤاخاة وحققه بين أفرادهِ بأسلوبٍ
لم تستطع تحقيقه سائر الشرائع والمبادئ:
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢).

وأصبح المجتمع أسرةً واحدة تستشعر
روح الإخاء، وتتجاوب في عواطفها
ومشاعرها، وكان ذلك من أعظم منجزات
الإسلام وفتوحاته الإصلاحية.

وكان مثالياً في أرحمته وتكافله:
فالمسلم معنيٌّ بشؤون المجتمع والاهتمام
بمصالحه، والعطف على بؤسائه ومعوزيه.

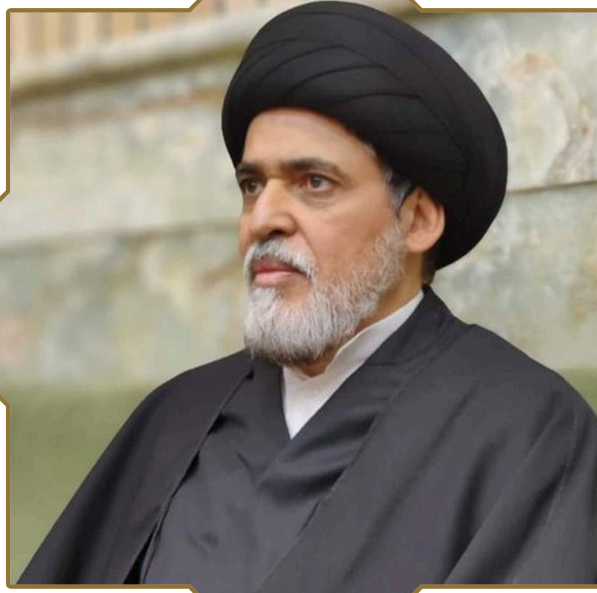
فعن أبي عبد الله ﷺ قال: «قال رسول

(٣) الوافي: ج ٣، ص ٩٩.

(٤) الوافي: ج ٣، ص ٩٩.

(١) الوافي: ج ١٤، ص ٤٨.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٠٠.



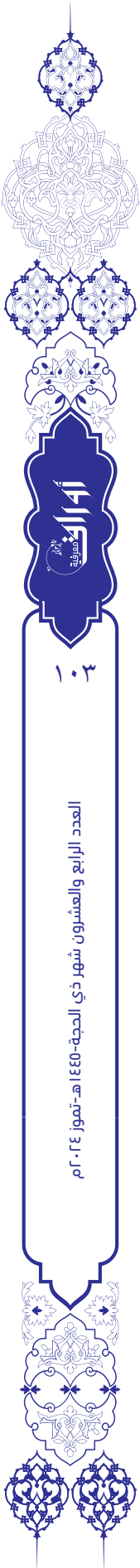
لغة الحب وتأثيرها في شخصية الإنسان

السيد منير الخباز

تنشر الأمان الاجتماعي، وهي المفتاح
للسلم الاجتماعي، والبذرة لزرع الأمن
الاجتماعي، كل مجتمع يعيش الحب بين
أبنائه يعيش أماناً وسلاماً، وكل مجتمع
يعيش كراهية بين أبنائه يعيش قنابل
موقوتة تهدد هذا المجتمع بالانذار
والخراب، فالحب مفتاح الأمن وبذرة
السلام.

المحور الثالث: الحب هو مفتاح الأمن
الاجتماعي

كُلُّ مجتمع يطمح نحو الأمن، ولا
يوجد مجتمع يريد أن يعيش حروباً،
كل مجتمع يرغب أن يكون مجتمعاً
آمناً، ويطمح إلى أن يسود فيه الأمان
والأمن، ما هو المفتاح للأمان؟ المفتاح
للأمان لغة الحب، لغة المحبة هي التي



أن ترضى بالمجلس دون المجلس»،
أي مكان تجلس فيه تقبل به، هذا
تواضع، «وأن تسلم على من تلقى»
تبدأ الآخرين بالسلام، «وأن تترك
الجدال ولو كنت محقاً».

أيضاً الإمام الباقر عليه السلام يقول: «إذا
أحببت شخصاً فأظهره على حبك
له؛ فإنه أوثق للمودة بينكما»، عندما
تحب إنساناً، تقول له: أنا أحبك، فهذا
الإبراز، يقوي المودة، يرسخها، فهو
تعبير إنساني عن الحب، يشيع الأمن
والسلام بين أبناء المجتمع.

المحور الأخير: الحب قوام العبادة.

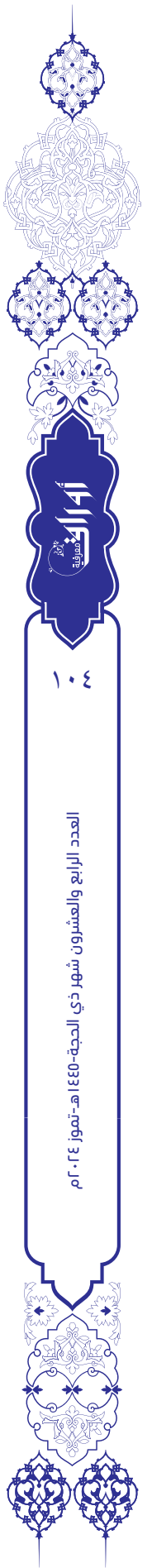
كما أن الحب مفتاح السلام،
فالحب بذرة العبادة، أفضل العبادة
هي العبادة التي تنطلق من الحب،
وأروعها هي التي تنبعث عن الحب،
الحب هو أساس العبادة، فكيف
ذلك؟

الناس على أقسام: قسم يعبد الله
خوفاً منه، فهو لا يحب الله، لكن يخاف
منه، فيعبده، وقسم يعبد الله لا حباً
له، وإنما رغبة في ثوابه؛ لأنّ عنده جنة
ونعيمًا، فنحن نعبده للجنة والنعيم،

لذلك ركز القرآن على لغة
الحب: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا
الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ
مَحْمِيٌّ﴾، حاول أن تظهر الحب إمّا
على وجهك أو على لسانك، فالحب
ليس أمراً منكماً في النفس، وليس
أمراً متوقّعا في القلب، فهو يحتاج إلى
تعبير، وإلى إظهاره، وإلى أن تحكي عنه
إمّا بفعلك أو بلسانك.

تعبير الوجه لابدّ من أن يكون
تعبير محبة، وفي ذلك يقول الإمام أمير
المؤمنين علي عليه السلام: «انقباض الوجه
مكسبة للعداوة»، عبوسك في وجه
الآخر يحدث في نفسه نفرة منك،
وضيقاً، وقد ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله:
«حسن البشر يذهب بالسخيمة»،
البسمة تزيل الاحتقان، والتوتر من
النفوس، عليك أن تعبر عن حبك
لل بشرية، وللإنسان، بالابتسامة،
وببشاشة الوجه، فإنّ هذا التعبير
ضروري للأمن الاجتماعي.

أو تعبر بلسانك، فتبدأ بإلقاء
التحية على من تلقى، فقد ورد عن
الإمام الصادق عليه السلام: «من التواضع



وليس حباً له، لو رجع إلى وجدانه لما رأى في قلبه حب الله، وإنما يعبد ربه طمعاً في جنته أو خوفاً من عقابه، لكنّ هناك قسمًا ثالثًا يعبد الله لأنّه يحب الله، فقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»، أي: وجدتك الكمال المطلق فأحببتك، ودفعني هذا الحب لعبادتك.

لذلك عبادة الإمام علي عليه السلام عبادة الحب، وليست عبادة الخوف، وعبادة الطمع، وقد ورد عنه: «ركعة لي في دنياكم أحب إليّ من الجنة وما فيها»، أنا لا أريد جنة ولا شيئاً آخر، أريد فقط أن أقف بين يدي الله لأعبر عن حبي له، وتعلقني به، فيقول ركعة لي في دنياكم أحب إلي من الجنة وما فيها. حب الله على درجات ثلاث:

الدرجة الأولى: درجة الانشراح.

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾،
﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾، الإنسان

الذي يجد صدره منشرحاً مع الله، وإذا دعي إلى العبادة قال سمعاً وطاعة، وإذا قيل له: صلّ النافلة، قال: سمعاً وطاعة، وإذا قيل له: اقرأ القرآن، قال: سمعاً وطاعة، فنحن لا نتكلم عن الواجبات، فالواجبات كلّ الناس تقوم بها، وإنما نتكلم عن المستحبات. إذا أردت أن تكتشف أنّك تحب الله فاكتشف نفسك في الأعمال المستحبة، لا في الأعمال الواجبة، إذا أردت أن تكتشف أنّ في قلبك نصيباً من حب الله فاكتشف قلبك في المستحبات، هل أنت تبادر بنفسك من دون أن يطلب منك أحد إلى قراءة القرآن، وإلى صلاة النافلة، وإلى الدعاء، وإلى الصدقة؟ إذا وجدت قلبك منشرحاً ومبادراً إلى الأعمال المستحبة بطوعية وقناعة ورضا، وهذه أول درجة من درجات حب الله، ألا وهي درجة الانشراح.

الدرجة الثانية: الجذب.

أنت تترقى فتصل إلى درجة الجذب، تصبح إنساناً دائم التفكير في الله، منجذباً نحو الله تبارك وتعالى، «واجعل لساني بذكرك لهجاً، وقلبي

بحبك متياً»، أنا وصلت إلى درجة الجذب، يعني أصبحت متياً بحبك يا رب، المتيم بحب الله هو الذي يلهج بذكر الله، هو الذي يعيش ذكر الله في كل أحواله في كل حركاته وسكناته، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾.

الدرجة الثالثة: درجة الفناء في الله.

إذا وصل الإنسان إلى الدرجة الأرقى فإنه لا يرى إلّا الله، وهذا الذي وصل إليه أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال: «ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله قبله وبعده وفوقه وتحتيه وفيه»، ويقول الحديث القدسي: «ما يزال العبد يتقرب إليّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها»، أنا أهيمن على جوارحه، وأهيمن على جوانحه، فلا يرى غيري، ولا يحب سواي.

إذا سيطر حب الله تعالى والتعلق به على الإنسان بكل كيانه وبكل جوانحه وجوارحه فسيصل إلى درجة الفناء التي يعبر عنها الإمام

الحسين بن علي (عليه السلام)، «أ يكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟! متى غبت»، أنت تعيش في قلبي، وفي جوانحي، وصورتك - الصورة التي يصطنعها الذهن لله عز وجل - لا تغيب عن بالي أبداً، «متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟! ومتى كانت الآثار هي التي توصل إليك؟! عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من ودك نصيباً».

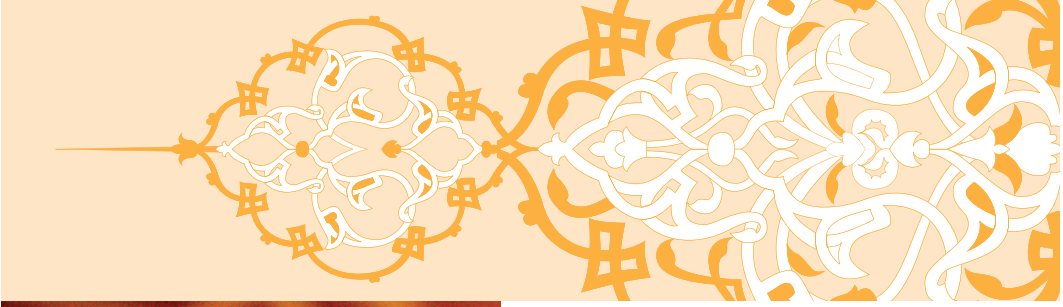
الإمام زين العابدين له ١٥ مناجاة، من أروع الأدعية، حاول أن تحافظ على هذه المناجاة، بقراءة واحدة من هذه المناجاة في كل يوم ومنها، مناجاة الخائفين، مناجاة الراغبين، مناجاة المحبين، مناجاة الشاكرين، فمناجاة المحبين، تعلمنا كيف نحب الله، والمناجاة تختلف عن الدعاء، هناك أناس يخلطون بين الدعاء والمناجاة، الدعاء هو الطلب من الله عز وجل، أمّا المناجاة فهي الخلوة مع الله، كما أنّ الإنسان يخلو مع حبيبه، كذلك الخلوة مع الله مناجاة، عندما تخلو مع ربك

في ظلام الليل، وتتحدث إليه بما في نفسك، هذه هي المناجاة، وهي غير الدعاء.

الإمام زين العابدين يقول في مناجاة المحبين: «من ذا الذي ذاق حلاوة حبِّك فرام منك بدلاً، ومن ذا الذي ذاق أنس قربك فابتغى عنك حولا»، ويقول عليه السلام: «يا من أنوار قدسه لأبصار محبيه رائقة، ويا من سبحات وجهه في قلوب عارفيه شائقة، يا منى قلوب المحبين، ويا غاية آمال العارفين، اللهم ارزقني حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يوصلني إلى قربك، واجعلك عندي أحب إليّ مما سواك». هذا الحب العظيم الذي يعبر عنه الإمام الحسين عليه السلام في آخر لحظات حياته وهو يقول: «اللهم رضا بقضائك، وتسليماً لأمرك، يا غياث المستغيثين».

[موقع شبكة يا مهدي الإسلامية]

اولاوتقا فتي



عاقبة الأطفال يوم القيامة

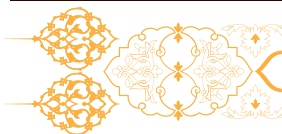
العلامة محمد جواد مغنية

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ
ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ
شَيْءٍ﴾^(١).

ليس من شك أن الأطفال
الصغار لا يعذبون بحال، سواء أكان
آباؤهم من الأخيار أم الأشرار، إذ لا
عقاب بلا عصيان، ولا عصيان بلا
تكليف، وقد رفع سبحانه القلم عن
الصبي حتى يحتلم، وكرّر سبحانه في
العديد من الآيات: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ
وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٢). أما قول من قال:

(١) سورة الطور: الآية ٢١.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٦٤.



إن ولد الكافر يدخل النار لأنه لو عاش لاعتنق دين أبيه، أما هذا القول فمتروك لأن الله يحاسب الإنسان على ما فعل، ولا يحاسبه على ما لو استطاع لفعل.

وتسأل: هل الأطفال الصغار يحشرون ويدخلون الجنة؟

الجواب: لا سبيل إلى معرفة ذلك إلا كتاب الله وسنة نبيه، لأن العقل لا يحكم هنا بشيء سلباً ولا إيجاباً. ولا شيء في الكتاب والسنة المتواترة يدل على أن أطفال الكافرين يحشرون... وفي حديث عن الرسول الأعظم ﷺ:

«إن أطفال المؤمنين يهدون إلى آبائهم المتقين يوم القيامة». وقال كثير من المفسرين: إن الكبار المؤمنين من ذرية المتقين يلحقون بدرجة آبائهم العليا في الجنة، وإن كانوا دونهم في العمل الصالح؛ لكي تقر بهم أعينهم، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: نزيد للأبناء كرامة للأباء، ولا ننقص الآباء شيئاً من ثوابهم ودرجاتهم.

وقالت الإمامية والحنفية والشافعية والحنابلة: يحكم بإسلام الطفل تبعاً لأحد أبويه، فإن كانا مسلمين فذاك، وإن كان أحدهما مسلماً والآخر كافراً، فالطفل بحكم المسلمين، سواء أكان المسلم هو الأب، أم كان كافراً، لكن الأم كانت مسلمة، أمّا المالكية فقالوا: العبرة بإسلام الأب فقط ولا أثر لإسلام الأم بالنسبة إلى الطفل.

[تفسير الكاشف]

طاقة الإنسان المحدودة

الشيخ محمد تقي فلسفي



يهدف علماء النفس المعاصرون إلى أن ينشئوا أفراداً مستقلين ومعتدين على أنفسهم، ويمنعوا من نشوئهم طفيليين. لا شك في أن تربية كهذه قيّمة جداً، وتستحق الاكبار والتقدير، كما تظهر آثارها النيرة طيلة أيام الحياة بصورة تدريجية، ولكن يجب أن لا ننسى أن الطاقة الجسدية والروحية للإنسان محدودة، ولذلك فإن درجة اطمئنانه ونشاطه ستكون محدودة أيضاً.

إن من كان محروماً من الإيمان بالله، وكانت تربيته مطابقة للأساليب العلمية المحضّة، فنشأ معتمداً على نفسه... فهو رجل العمل والنشاط ما لم يصل في حياته إلى مأزق حرج... أما عندما يصطدم بمشاكل تستعصي على الحل، وتغلق جميع الأبواب والطرق الطبيعية بوجهه،

يشعر باليأس والفشل، ويشلّ نشاطه، عندئذ يعجز الاعتماد على النفس من تهدئة خاطره والتخفيف من اضطرابه، وبعث الأمل في نفسه.

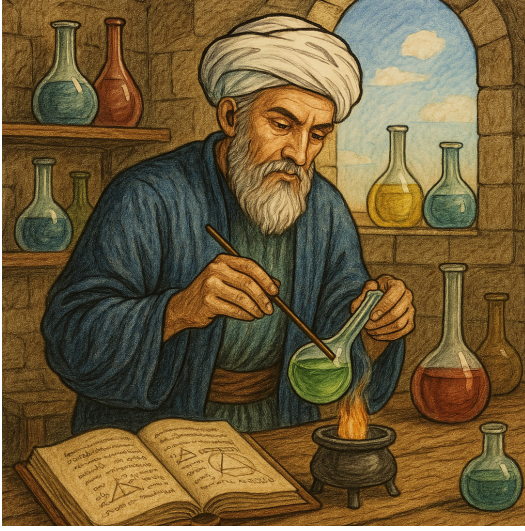
أما المؤمنون بخالق الكون، والذين يستندون إلى قدرة الله العظيمة بالإضافة إلى الاستقلال الروحي الذي يملكونه، والاعتماد على النفس الذي يتميزون به، فإنهم لا يصابون باليأس والقنوط أبداً... إنهم يذكرون الله تعالى في الأحوال الاعتيادية، ويستغلون جميع الوسائل والعوامل التي أوجدها خالق الكون في هذا العالم لتحقيق غاياتهم النبيلة وأهدافهم السامية. إنهم لا يتركون أبسط الفرص المؤدية إلى السعادة تذهب عبثاً، وعندما يقعون في مأزق حرج لا يفقدون الأمل والتطامن؛ لأنهم لم يحصروا أرواحهم في دائرة العلل الطبيعية فقط، ولم يغفلوا عن القدرة الإلهية العظيمة التي هي فوق

جميع القوى والطاقات لحظة واحدة. إنهم يستمدون العون من عناية الله في أشد الظروف وأحرج المواقف، ولا يطفأ له الأمل في أرواحهم أبداً... إن أعظم عامل لاستقرار النفس وقوة الإرادة هو الاتكال على الله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١).

... وهذه سمة فريدة يمتاز بها المنهج التربوي لرسول السماء. إن المناهج العلمية والتطبيقية تستطيع أن تربي الناس على الاعتماد بالنفس... أما المنهج التربوي في الإسلام فإنه بالإضافة إلى تأكيده على قيمة الاعتماد بالنفس، يربي الأفراد على الإيمان بالله والاتكال عليه، وهذا هو من أعظم ميزات المدرسة الإسلامية في التربية.

[الطفل بين الورثة والتربية]

(١) سورة الرعد: الآية ٢٨.



أهمية الكيمياء

السيد إبراهيم سرور

تزايد أهمية الكيمياء يوماً بعد يوم، وتثبت التجارب العلمية الحديثة أن الحياة تتألف من عمليات كيميائية معقدة، كما ثبت أن الوراثة وليدة للتفاعلات الكيميائية.

بل لعلم الكواكب والأرض تكونت نتيجة لعمليات كيميائية مستمرة، كما أن التغيرات التي تطرأ على الكون هي في كثير من الحالات ذات طبيعة كيميائية.

ومن الشائع الثابت أن الإمام الصادق عليه السلام كان على علم بخواص الأشياء منفردة ومركبة، وأنه درس علم الكيمياء في مدرسته قبل اثني عشر قرناً ونصف قرن.

واشتهر من تلامذته في هذا العلم هشام بن الحكم المتوفى حوالي سنة (١٩٩هـ) وهو من أصحاب الصادق عليه السلام وتلامذته، وله نظرية في جسمية الأعراض كاللون والطعم والرائحة، وقد أخذ إبراهيم بن سيار النظام المعتزلي هذه

النظرية عندما تتلمذ على هشام.

وقد أثبتت صحة هذا الرأي النظريات العلمية الحديثة القائلة إن الضوء يتألف من جزيئات في منتهى الصغر، تجتاز الفراغ والأجسام الشفافة، وإنَّ الرائحة أيضاً من جزيئات متبخرة من الأجسام تتأثر بها الغدد الأنفية، وإنَّ المذاق جزيئات صغيرة تتأثر به الحليمات اللسانية.

ومن تلامذة الإمام الصادق عليه السلام الذين اشتهروا ببراعتهم في الكيمياء والعلوم الطبيعية جابر بن حيان الصوفي الطرطوسي، الذي دون وألف خمسمائة رسالة من تقارير الإمام عليه السلام في علمي الكيمياء والطب في ألف ورقة^(١).

وقد ذكره، ابن النديم في الفهرست واطال فيه الكلام، وذكر له كتباً ورسائل في مختلف

(١) ابن خلكان في احوال الصادق: ج ١ ص ١٥٠ وكتاب الفهرست.

العلوم ولاسيما في الكيمياء، والطب، والفلسفة والكلام.

وقد أكبر المؤلفون المسلمون منزلة جابر وعدوه مفخرة من مفاخر الإسلام. ولا بدع، فإن من تزيد مؤلفاته على ثلاثة آلاف كتاب ورسالة في مختلف العلوم، وجلها في العلوم النظرية والطبيعية التي تحتاج إلى زمن طويل في تجاربها وتطبيقاتها، لجدير بالتقدير والإكبار.

وقد تمكن جابر من تحقيق وتطبيق طائفة كبيرة من النظريات العلمية، أهمها تحضير (حامض الكبريتيك) بتقطيره من الشبة، وسماه (زيت الزاج). كما حضر (حامض النترك) و(ماء الذهب) و(الصودا الكاوية).

وكان جابر أول من لاحظ ترسب (كلوريد الفضة) عند إضافة محلول ملح الطعام إلى محلول (نترات الفضة).

وينسب إليه تحضير مركبات أخرى مثل كربونات البوتاسيوم وكربونات الصوديوم وغير ذلك مما له أهمية كبرى في صنع المفرقات والاصباغ والسماد الصناعي والصابون وما إلى ذلك.

ولم تقف عبقرية جابر في الكيمياء عند حد تحضير هذه المواد فحسب، بل انبعث منها إلى ابتكار شيء جديد في الكيمياء هو

ما سماه بعلم «الميزان»، أي: معادلة ما في الاجسام والمعادن من طبائع، وقد جعل لكل جسد من الأجساد موازين خاصة بطبائعه، وكان ذلك بداية لعلم المعادلات في طبائع كل جسم^(١).

وقد امتد نشاط جابر إلى ناحية أخرى من الكيمياء هي التي يسمونها بالصنعة، أي: تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة من ذهب وفضة. ويعد جابر رائدا لمن أتى بعده من العلماء الذين شغفوا بهذه الناحية من الكيمياء، كالرازي وابن مسكويه والصغرائي والمجريطي والجلدكي.

وكانت نظرية تحويل المعادن إلى ذهب أو فضة نظرية يونانية قديمة فتن بها المسلمون من بعدهم، فوضع جابر فيها رسائل كثيرة، وشرح قواعدها وأصولها في كتبه المتعددة.

يقول ابن النديم: «حدثني بعض الثقات ممن تعاطى الصنعة انه (أي جابر) كان ينزل في شارع باب الشام في درب يعرف بدرب الذهب، وقال لي هذا الرجل ان جابرا كان أكثر مقامه بالكوفة، وبها كان يدير (الاكسير) لصحة هوائها ولما أصيب الأزج الذي وجد فيه هاون ذهب، فيه نحو مائتي رطل. كان من موضع دار جابر بن

(١) فلاسفة الشيعة ص ٦٣.



حيان، فإنَّه لم يصب في ذلك الأزج غير الهاون فقط»^(١).

ويعتقد الدكتور محمد يحيى الهاشمي أن الذي يقصده جابر (بالاكاسير) هو (الراديوم) نفسه، أو أحد الأجسام المشعة فيقول: «ومما يزيد إعجابنا ادعاء جابر بأن هذا السر له دخل في جميع الأعمال، وأننا إذا أمعنا النظر في الوقت الحاضر، لوجدنا اكتشاف الأجسام المشعة التي تؤدي إلى قلب عنصر المادة وتحطيم الذرة لم يكن من نتائجها القنبلة الذرية فحسب بل إيجاد منابع قوى جديدة لم تكن تطوق على بال الإنسان»^(٢).

وصلت نظرية (الصنعة) ضرباً من ضروب الآمال والاحلام بل الأوهام، وكان من يشتغل بها يرمى بالعتة والهوس، حتى إنَّ الكندي وابن خلدون نبذا هذه الفكرة، وأكدوا عدم إمكان تحويل أي عنصر على عنصر آخر.

غير أن ما حدث في عام ١٩١٩ من تحطيم ذرات (النتروجين) وتحويلها إلى ذرات (الأكسجين) و (الهيدروجين) قد بدل

مفهوم هذه الفكرة، وأثبت إمكان تحقيقها بالفعل.

وقد توالى بعد ذلك تجارب شطر نواة الذرة، باستخدام قذائف من جسيمات (ألفا) أي: نوى (الهلوم)، ومن جسيمات أخف ولكن أكبر أثراً منها وهي البروتونات أي نوى (الهيدروجين) بعد إطلاقها بسرعة فائقة، وأمكن بذلك شطر نواة الذرة وتحويل عدد من العناصر إلى عناصر أخرى، كتحويل الهيدروجين إلى عنصر الهليوم، وتحويل الصوديوم إلى مغنسيوم، والليثيوم والبورون إلى هليوم، فتحقق فعلاً أمر تحليل العناصر وتحويل بعضها إلى بعض.

[الاعجاز العلمي عند الامام الصادق عليه السلام]

(١) الفهرست: ٤٩٩.

(٢) الامام الصادق ملهم الكيمياء: للأستاذ محمد يحيى الهاشمي: ص ١٥٦، مطبعة النجاح ببغداد، ١٩٥٠ م.

الألغاز والتعمية

ابن أبي الإصبع

ومنها ورويت أنَّ الشافعي قال: لا بأس بالمرأة إذا احتاجت أن تبيع زوجها لتنفق ثمنه.

وذكر لي الشريف تاج الشرف أنَّ مُنشئها كان شريفاً عباسياً، وأنسى اسمه.

ومن النثر الذي جاء في هذا الباب قول ابن جراح ملغزاً في دملج: ما شيء وجهه قمر، وقلبه حجر، إن نبذته صبر، واعتزل البشر، وإن قرعته ملأ الأسماع، وإن أدخلته السوق أبى أن يباع، وإن فككت شطره دعا لك، وإن ركبت نصفه الآخر هالك، وربما كثر مالك، وإن رخمته أملك عند الفجر، وأورثك الضجر وقت العصر.

يسمى المحاجة، والتعمية أعم أسمائه، وهو أن يريد المتكلم شيئاً فيعبر عنه بعبارات يدل ظاهرها على غيره، وباطنها عليها، وهو يكون في النثر والشعر، فمما جاء منه في النثر ما أملاه على السيد الشريف العالم الفاضل تاج الدين والشرف ابن الحلبي أبقاه الله من رسالة ذكر أنَّها أملاها عليه منشئها، فحفظها ثم نسيها، ولم يبق على خاطره منها إلا ما أذكره، وهو، بلغني أيدك الله أنك ركبت الأفق، وسرت تطأ ذوائب النجم من عن يمين جعفر، وشمال سعيد، حتى أتيت إلى الضرير، فطفقت تستحسن عينيه ملياً، وقصدت ابنة الوادي فبقرت بطنها عن خمس كأصابع الكف، وأتاك الغلام بيضاء من ملاح القرية، فأصليت الجميع ناراً تلظى، فبردت بنارهن ناراً محرقة، ورأيت عثمان وهو يسر أبا بكر فقتلته.



ومثال ما أتى من هذا الباب في الشعر قول بعض العرب ملغزاً في الأيام
[رجز]:

وسبعة كلُّهم إخوان ما إن يموتون وهم شبان
لم يرهم في موضع إنسان
ومن ذلك قول أبي العلاء المعري ملغزاً في الإبرة مما أنشدنيه الفاضل عفيف
الدين علي بن عدلان النحوي عفا الله عنه [طويل]:

سعت ذات سم في قميصي فغادرت به أثراً والله شافٍ من السم
كست قيصراً ثوب الجمال وتبعاً وكسرى وعادت وهي عارية الجسم
وللمعري ملغزاً في الهريسة: [طويل]

أتتنا وما لاح الصباح وقد سرت إلينا الدجى إنَّ الحرائر لا تسري
منعمة بيضاء ما نفحاتها بعطر ولكن هنَّ أشهى من العطر
لها والد عال وأُمُّ كريمة وحاضنة سوداء جائشة الصدر
إذا أودعت سراً غلا في ضميرها فباتت من السرِّ المصون على الجمر

وكقوله ملغزاً في قطعة ملح من ملح الطعام من إنشاد المذكور [طويل]:
وبيضاء من سرِّ الملاح ملكتها فلما قضت إربي حبوت بها صحبي
فباتوا بها مستمتعين ولم تزل تحثهم بعد الطعام على الشرب
وأمثلة هذا الباب من الشعر لا تحصى كثرة.

[تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر]

الاستجارة بصاحب العصر والزمان

عنه السلام
عليه



علي السيد سلمان^(١)

أرى همماً مكنونة لا يقلها
تقطع أمعاء الزمان بحملها
بها طالبا وترا من الدهر لا أرى
أدك بها شمم الجبال إلى الثرى
ستدري الليالي من أنا ولطالما
فضا هذه الأولى اتساعا ولا الآخرا
إذا ذكرت عندي خطوب بني الزهرا
شفاء له ما لا أزيل له الدهرا
وأبني لنا فيها على زحل قصرا
تجاهلن بي علما وأنكرنني خبرا

(١) السيد علي آل السيد سلمان النجفي كان حياً سنة ١٢٣٣ هـ. كذا ذكره صاحب (الحصون ج ٢ ص ٤٥٣) فقال:
كان فاضلاً كاملاً شاعراً بليغاً أديباً. يظهر من مجرى هذه الأبيات أن القصيدة نظمت على أثر غارة الوهابيين سنة
١٢١٦ هـ على كربلاء وانتهاكهم لقدسية حرم سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين ﷺ وسفك دماء الأبرياء من رجال
ونساء فثارت حمية هذا العلوي الغيور فاندفع مستجيراً بصاحب العصر الإمام الغائب حجة آل محمد صلوات الله
عليه.



بها لست أَرْضَى أَنْ قيصِرَ خادِم
بسطوة من جبريل تحت لوائه
وصاحب موسى والمسيح وحوله
إذا ما رنا نحو السماء بطرفه
ولو شاء نسفا للجبال لأصبحت
إمام تولى كل آية مرسل
إمام يعيد الله شرعة جده
كأن عليه التاج رصع وشيه
إذا ما رأى الرائي به الهدي والهدى
به الدهر مبيض هدى واستنارة
متى يطرب الاسماع صوت بشيره
متى تقبل الرايات من أرض مكة
وأهتف ما بين الكتائب معلنا
دماؤكم طلت لديهم كدينكم
وآلكم من عهد احمد بينهم
وهم تركونا مطعما لسيوفهم
إلى م التماذي يا بن أكرم مرسل
ألم تر أن الظلم أسدل ليله
فما الصبر والبلوى تفاقم أمرها
أما كان فعل القوم منك بكر بلا
أفي كل يوم فجعة بعد فجعة
ألا كم لنا بالطف شنعاء ما رقت

لدي ولا أَرْضَى بذلك من كسرى
وقد جل ذا قدرا وما زاده قدرا
ملائكة الافلاك تنتظر الامرا
تمور بمن فيها السماء له ذعرا
ولا شيء منها حيث شاء ولا قدرا
من الله منا فهو آيته الكبرى
به غضة ايام دولته الغرا
بضوء سنى المريخ نورا وبالشعري
رأى من عظيم الامر ما يدهش الفكر
على أهله والارض مشحونة ذكرا
وأنى لسمعي قوله لكم البشرى
أمامهم نور يحيل الدجى فجرا
بيال أبي آباؤكم قتلوا صبرا
وفئكم نهب ونسوتكم أسرى
قلوبهم قرحى وأعينهم عبرى
وهم غصبونا فيء آبائنا قهرا
وحتامَ فيها أنت متخذ سترا
على الافق والاقطار قد ملئت كفرا
فمن مقله عبرا ومن كبد حرا
بمرأى أما كنت المحيط بها خبرا
لدى كربلا تذكراها يصدع الصخرا
لها عبرة إلا أملت بنا أخرى

وما فجعة بالطف إلا تفاقت
فها كربلا هذا ذبيح كما ترى
إذا لم يغث في سوحكم مستجيرها
يطل لديها من دماء ولا تكم
وكم من مصونات عفات تروعت
وانت خير بالرزايا وما جرى
أجل ربما في الشرق والغرب من عما
مصائب أنستها بكر طرادها -
ألم ترنا كشاف كلّ ملمة
أحاطوا بنا من كلّ فج وأرهبوا

علينا ولم تبقي لسابقة ذكرى
وهذي وقاك الله مسلوقة خدرا
فأين سواها المستجار ومن أخرى؟
ألوف وما عدى وأنت بها أدرى
وكم من دم يجري وكم حرة حسرى
من القوم مما لم يدع بعده صبرا
عواديه لا تخشى أثاما ولا وزرا
علينا وأن لا مستجار لنا - شمرا
نعاني الرزايا من غوائلهم غدرا
فما أضيّق الغبرا وما أبعد الخضرا



بعض الحقوق

الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام

وَأَمَّا حَقُّ الشَّرِيكِ: فَإِنْ غَابَ كَفَيْتَهُ، وَإِنْ حَضَرَ سَاوَيْتَهُ، وَلَا تَغْزِمَ عَلَى حُكْمِكَ دُونَ حُكْمِهِ، وَلَا تَعْمَلْ بِرَأْيِكَ دُونَ مُنَازَرَتِهِ، وَتَحْفَظْ عَلَيْهِ مَالَهُ، وَتَنْفِي عَنْهُ خِيَانَتَهُ فِيمَا عَزَّ أَوْ هَانَ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنَا أَنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الشَّرِيكِينِ مَا لَمْ يَتَخَاوُنَا، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الْمَالِ: فَإِنْ لَا تَأْخُذْهُ إِلَّا مِنْ حِلِّهِ، وَلَا تُنْفِقْهُ إِلَّا فِي حِلِّهِ، وَلَا تُحَرِّفْهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا تَصْرِفْهُ عَنْ حَقَائِقِهِ، وَلَا تَجْعَلْهُ إِذَا كَانَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ، وَسَبَبًا إِلَى اللَّهِ، وَلَا تُؤْثِرْ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ مَنْ لَعَلَّهُ لَا يَحْمَدُكَ، وَبِالْحَرِيِّ أَنْ لَا يُحْسِنَ خِلَافَتَهُ فِي تَرْكِتِكَ، وَلَا يَعْمَلَ فِيهِ بِطَاعَةِ رَبِّكَ، فَتَكُونَ مُعِينًا لَهُ عَلَى ذَلِكَ، أَوْ بِمَا أَحْدَثَ فِي مَالِكَ أَحْسَنَ نَظَرًا لِنَفْسِهِ، فَيَعْمَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، فَيَذْهَبَ بِالْغَنِيمَةِ، وَتَبُوءَ بِالْإِثْمِ وَالْحُسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ، مَعَ التَّبِعَةِ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الْغَرِيمِ الطَّالِبِ لَكَ: فَإِنْ كُنْتَ مُوسِرًا أَوْ فَيْتَهُ، وَكَفَيْتَهُ، وَأَغْنَيْتَهُ، وَلَمْ تَرُدَّهُ وَتَمْطُلْهُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ»، وَإِنْ كُنْتَ مُعْسِرًا أَرْضَيْتَهُ بِحُسْنِ الْقَوْلِ، وَطَلَبْتَ إِلَيْهِ طَلَبًا جَمِيلًا، وَرَدَدْتَهُ عَنْ نَفْسِكَ رَدًّا لَطِيفًا، وَلَمْ تَجْمَعْ عَلَيْهِ ذَهَابَ مَالِهِ وَسُوءَ مُعَامَلَتِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لُؤْمٌ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

[رسالة الحقوق]